فصح

فرح . صداقة . حرية

مطرانية الروم الأرثوذكس
الكويت

المسيحُ قامَ من بين الأمواتِ ووطئَ الموتَ بالموتِ ووَهبَ الحياةَ للّذين في القبور

مجلة غير دورية تُوزع داخل الكنيسة

العدد ٩، أيار(مايو) ٢٠١٢

فصح

مجلّة فصح – عدد ٩، أيار (مايو) ٢٠١٢

مطرانية بغداد والكويت
وسائر الخليج العربي للروم الأرثوذكس

أسرة المجلة

رئيسة التّحرير

كاتي بنيامين عوض

تصميم وإخراج

فادي وديع عدره

التحرير

الأرشمندريت أفرام الطعمي

الأب يوسف عرب

لؤي شاهين

إليان حبوب

نشكر
كل من ساهم
في إغناء هذه المجلة

الفهرست

كلمة العدد 01
الأرشمندريت إفرام الطعمي

الولد والمناولة 03
كوستي بندلي

التقليد الأرثوذكسيّ 05
الأب يوحنّا رومانيدس

القيامة (شرح أيقونة القبر الفارغ) 07
الأرشمندريت إفرام الطعمي

يوحنّا السّابق في التقليد الليتورجي الأرثوذكسيّ 10
من موقع عائلة الثّالوث القدّوس

الصّلاة الربّية 16
الأب إيليّا متري

الفصح... فداء المسيح لخلاص البشريّة 19
فؤاد صليبا الصّائغ

سر مسحة المرضى 21
من التعليم الأرثوذكسيّ

الكهنة والعلمانيّون في الكنيسة الأرثوذكسيّة 23
الأب ألكسندر شميمن

القدّيس جاورجيوس اللابس الظفر 28
إعداد: إليان حبوب

حوار مع العذراء 30
فادي وديع عدره

جلال الذّكرى... المجدليّة الخالدة 31
الأديبة أسمى طوبى

الأخبار 32
إعداد: لؤي شاهين

فصح
هذه المجلة تُوزّع داخل الكنيسة فقط

المسيح قام... حقّا قام

بهذا الهتاف الفصحيّ أعايدكم مؤكّداً قيامة المسيح وانتصاره على الموت ونيلنا الحياة الأبديّة، ومتمنّياً لكم ولكلّ المختصّين بكم، الصّحّة والبركة والتّوفيق في كلّ ما تصنعونه في الحياة، أكان تربية أو عملاً أو درساً لأنّها كلّها ليتمجّد اسم الله فينا، ونظهر لمجده مبشّرين ورسلاً في هذا العالم، فينظرنا الآخرون ويمجّدوا أبانا الّذي في السّموات.

أحبّائي، ونحن في ظلّ هذا الفرح الفصحيّ أودّ أن أتشارك وإيّاكم فرحاً عظيماً خبرته كنيستُنا من بعد أن عبرنا شدّةً وثقنا أنّ ربّنا حاملنا فيها وراعينا ومخفّفاً عنّا وطأتها ألا وهي احتمال خسارتنا لكنيستنا مبنىً وحجارة ومكاناً، لا روحاً أو بشراً ممجّدين وشاكرين. فكما يعلم العديد منكم أن إشكاليّةً وقعت بين ورثة مالك العقار ما استدعى الأمر تدخلاً قضائيّاً لحلّ النّزاع، أفضى إلى قرارٍ بِبيع العديد من عقاراتهم المُتنازع عليها ومن ضمنها عقار الكنيسة في المزاد العلنيّ وتحديد سعر مبدئيّ لعقارنا بمليون دينار كويتيّ قابلة للزّيادة بحسب الرّاغب في التّملك. وسعينا جاهدين من خلالكم ومن خلال العديد من المحسنين بتأمين مبلغ يساعدنا في مواجهة مَن سينافسنا على العقار، ليبقى لنا مبنانا حاضراً ويبقى جامعاً إيّانا وحاضناً صلواتنا وخدماتنا ورعايتنا. ولكنّ المبلغ بقي أقلّ بكثير من أن ينافس مزايداً يريد انتزاع عقارنا منّا، فتوصّلنا إلى اتّفاق شراكة مع أحد أطراف النّزاع ويمتلك ما نسبته ٥٧,٥ ٪ فيصير نصيبنا ٤٢,٥ ٪ قادرين على تحمّله وكان هذا في جلسة الخامس من آذار مارس الماضي حيث تمّت الشّراكة وتمّ الشّراء باسم إحدى بنات رعيّتنا الكويتيّات وهي السّيّدة ليلى بولس نعمان مع وجود الضّمانات القانونيّة اللاّزمة الضّامنة لحقّنا في تملّك العقار.. وهكذا بتنا في حالة جيّدة بما يختصّ بقلق خسارتنا العقار، ولكنّنا بتنا في حالة دينٍ يجب أن يوفّى لأحد المحسنين يزيد على الـ ٢٠٠,٠٠٠ دينار كويتيّ.. لهذا تمّ إطلاقة مشروع المساهمة الشّهريّة لعائلات الرّعيّة بمبلغ شهريّ بما يرونه مناسباً وضمن إمكانيّات كلّ عائلة، ويمتدّ على سنتين نستطيع من خلاله إيفاء ديننا وصيانة العديد من الأمور في مبانينا.

شدّةٌ عبرت كنّا واثقين بتجاوزها لأنّ إيماننا يقول بأنّ المتّكل على الرّبّ ينال سُؤْله، ويقيه من كلّ شدّة ويكون حافظه في كلّ طرقه ومسالكه. والّذي يلقي همّه عليه ينجّيه. بالإضافة إلى أنّ العذراء مريم شفيعتنا وحاميتنا وحافظتنا كانت معنا في كلّ خطواتنا وكان صاحب السّيادة راعي هذه الأبرشيّة يطمئننا ونحن في غمرة قلقنا من خسارة مبنانا ويقول «إنّ خبرتي مع أمّي العذراء تجعلني واثقاً بأنّها لا تترك أبناءها، فهي أمّنا والمعتنيةُ بنا، والرّبّ بشفاعة ودالّة أمّه سيجد لنا الحلول والمخارج الّتي تصون كنيستنا وتحفظها.» كلمات كانت تعزّينا في

شدّتنا وتمنحنا الثّقة والإيمان بأنّ ما يحدّثنا به قدّيسنا وأبينا وراعينا أمر حاصلٌ لا محالة، ووالدتنا العذراء أبداً لا تغيب عن رعاية أبنائها وحفظها لهم في أوان الشّدّة والمحن، وبالفعل كان لنا هذا. وثقتُنا النّابعة من تشديد سيّدنا لنا ومن إيماننا جميعاً بأنّ الأمّ أبداً لا تترك أبناءها أثمرت كنيسةً، لنا فيها نصيب جيّد يحفظ لن وجودنا ويبقي كنيستنا عامرة، مزدهرة، بحضور العذراء مريم على رأسها ورعاية سيّدنا لها ودعم جميعكم –أنتم الأبناء– الماديّ والمعنويّ لها.

فشكراً لربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح أوّلاً، ولأمّه العذراء مريم ثانيةً، ولكم جميعاً لوقفتكم الكريمة الجريئة والشّجاعة في دعم كنيستكم واستمرار وقوفكم أيضاً حتّى تظهر كنيستنا ممجّدةً ومنارة في بلدنا الحبيب الكويت الّذي نصلّي دائما ليحفظه الرّبّ وحكّامه الأوفياء من كلّ مضرّة وأذيّة وشدّةٍ.

حفظكم الرّبّ الإله وباركم جميعاً وأعاد الله عليكم هذه المواسم بالخير والبركات

الأرشمندريت إفرام الطعمي

راعي كنيسة سيّدة البشارة – الكويت

الولد والمناولة

كوستي بندلي

أوّلاً: استعداد الطّفل للمناولة:

الاستعداد للمناولة بالنّسبة للطّفل. كيف؟ حسب الأعمار؟

إلى أيّ مدى نستطيع التّساهل مع الأولاد في موضوع الاستعداد (الأكل قبل المناولة)؟

في حال التّأخّر عن القدّاس، هل نستطيع أن نمنع الأولاد من المناولة (حضور جزئيّ للقدّاس)؟

قد أشير إلى وجهين من وجوه الاستعداد للمناولة، ألا وهما الامتناع عن الأكل من جهة، والمشاركة في القدّاس من جهة أخرى. فَإليكم بعض الملاحظات حول هاتين النّقطتين:

يحسن أن نقرّبهما من مفهوم الأولاد عبر ربطهما بخبرات الحياة المألوفة بشكل عام وبخبراتهم هم بنوع أخصّ. وهو ما يؤول إلى مزيد من الاستيعاب والاقتناع... من ناحية، يسمح بتخطّي المنظار النّاموسي، الفرائضيّ، الخارجيّ، ومن ناحية أخرى بِوَصل المسيحيّة بالحياة بحيث لا تبدو فيما بعد، كما هي الحال للأسف، في كثير من الأحيان - جِسماً غريباً وعالماً غيبيّاً قائماً بذاته لا تماسّ بينه وبين واقع المشاعر والاهتمامات الإنسانيّة.

أ- فمن حيث الامتناع عن الأكل، يمكن أن نقول لهم ما يلي:

إذا كان لديكم رفيق تحبّونه كثيراً، وإذا التقيتم بهذا الرّفيق ذات يوم من أيّام العطلة فخلا الجوّ لكما لتلعبا معاً، وتتحدّثا عن كلّ ما يهمّ كليكما، فقد يمرّ الوقت دون أن تحسّا به، وقد يأتي أوان الغداء دون أن تشعرا بالجوع كما تشعران به عادة، لأنّكما مأخوذان كلّيّاً بهذا اللّقاء المحبّب. والآن تصوّروا أنّ المسيح قد عاد إلى الأرض (وسيعود يوماً، في آخر الأزمنة كما تعلمون) وأنّه أتى إلى هذه المدينة الّتي تسكنون فيها، وأنّه أرسل يدعوكم إلى لقاء معه. أنتم تحبّون المسيح، لذا ستحسبون أنّ هذه الفرصة المتاحة لكم للقائه إنّما هي فرصة العمر، فتذهبون إليه مسرعين وتتحلّقون حوله بفرح وتصغون إليه بملء جوارحكم شاخصين بحبّ إلى وجهه المنير. ولسوف يمرّ الوقت دون أن تشعروا به، ولسوف تنسيكم بهجة اللّقاء به ورؤيته والاستماع إليه حاجتكم إلى الطّعام، لأنّ قلبكم يحظى إذ ذاك بغذاءٍ يغنيكم عن غذاء المعدة.

والمناولة هي بالضّبط لقاء مع المسيح، لقاء أكثر حميميّة بكثير من مجرّد مشاهدته والاستماع إليه، إذ تستضيفون به المسيح في ذواتكم، في صميم وجودكم، فيصبح أقرب إليكم من قلوبكم. ولكنّكم، عندما تتناولون، لا ترون المسيح الآتي إليكم، من هنا إنّكم لا تلتهفون إلى لقائه بالمناولة كما كنتم التهفتم لو أنّكم شاهدتموه وسمعتموه ولمستموه. مع ذلك فأنتم تعرفون - بالإيمان - معرفة اليقين أنّكم بالمناولة تلتقون به وأنّه بها «يدخل تحت سقف بيتكم» لتضيفوه. إنّما لا يكفي أن تعرفوا ذلك، ينبغي أن تحسّوا به بشكل ما. وما الامتناع عن الطّعام قبل المناولة إلاّ وسيلة تساعدكم، عبر الجوع والحرمان اللّذين ارتضيتموهما من أجل يسوع، بأنّكم تستعدّون للقاء من هو أهمّ بكثير من الطّعام، للقاء المسيح محبوبكم الأكبر.

أمّا من حيث الاشتراك في القدّاس بكامله استعداداً للمناولة، فيمكن أن ننطلق من المثل الآتي)لاحظوا أنّنا، هنا كما في البند السّابق، نقتفي آثار يسوع نفسه في اعتماد الأمثال طريقة للتّحدث عن سرّ ملكوت الله(إذا دُعي إنسان إلى مأدبة، فإنّه لا يأتي إلى بيت مضيفه في تمام ساعة تناوله الطّعام، وإلا أُعتبر ذلك من قلّة الأدب، بل يأتي قبل ذلك بفترة يقضيها بالتّحدّث إلى أهل البيت وإلى باقي المدعوّين لترسيخ روابط الألفة والمودّة فيما بينه وبينهم، حتّى إذا ما قام الجميع إلى مائدة الطّعام، كان تناولهم له معاً لا مجرّد أكل وحسب بل تعبيراً عن تلك المودّة الّتي تجمع بينهم والّتي توطّدت بما جرى بينهم من تناول أطراف الحديث.

هكذا فالمناولة هي قمة القدّاس لأنّ بها يتمّ اللّقاء الحميم بيننا وبين الرّبّ، وبيننا كلّنا حول الرّبّ.

من هنا إنّه ينبغي أن نستعدّ لهذا اللّقاء، الذّروة بترسيخ إلفتنا مع الرّبّ ومع بعضنا، عبر كافّة مراحل القدّاس وما تحويه من

مناجاة للرّبّ بصلاة وترتيل نرفعهما إليه سويّة، ومن استماع إليه معاً من خلال القراءات الكتابيّة والوعظ الّذي هو امتداد لها.

أمّا من حيث التّساهلُ أو التّشدّد مع الأولاد، في موضوع الامتناع عن الطّعام قبل المناولة وفي موضوع الاشتراك بالقدّاس كلّه، فينبغي برأيي أن لا نعتمد خطّاً جامداً وموقفاً متصلّباً، بل أن نراعي مبدأ «التّدبير» economia الّذي تقول به الكنيسة الأرثوذكسيّة، والّذي يجتهد في التّوفيق، دون ميوعة في التّساهل أو إفراط في التّشدّد، بين حدّة القانون وإمكانيّات النّاس، فيلطّف صرامة القانون بتأنّي الرّأفة، لأنّ «السّبت جُعل من أجل الإنسان وليس الإنسان من أجل السّبت» (مرقس ٢:٢٧) وغاية القانون ليست تحطيم المرء، بل بنيانه وتنميته. وفقاً لهذه الرّوح وتمشّياً مع هذا التّراث، ينبغي، برأيي، أن تتنوّع مواقفنا بموجب عدّة عوامل لا بدّ من أخذها بعين الاعتبار، ومنها:

عمر الأولاد

فما يمكن أن نطالب به (٨–١٠ سنوات) و (١٠–١٢ سنة) مختلف عمّا يحقّ لنا أن نطالب به (٦–٨ سنوات) وخاصّة (٤–٦ سنوات)، إن من حيث القدرةُ على احتمال الامتناع عن الطّعام أو من طاقة على احتمال طول القدّاس (وهو احتمال يتطلّب نموّاً في القدرة على التّركيز جسديّاً ونفسيّاً وعلى ضبط النّفس وفي القدرة على الاستيعاب وفي القدرة على التّوافق الاجتماعيّ).

شخصيّة كلّ ولد

وما بلغه هو بالذّات من نموّ إنسانيّ وروحيّ، فقد أكون أكثر تساهلاً من حيث التّأخّر عن القدّاس، مع ولد أراه يسعى صادقاً إلى التّقدّم، ولكنّه لا يزال ضعيفاً في إنجازاته، فلا أحرمه من مناولة يمكنها أن تكون تشجيعاً له وحثّاً على مضاعفة الجهود، وقد أكون أكثر تشدّداً مع ولد متقدّم إنسانيّاً وروحيّاً، ولكنّه مهدّد بالانسياق وراء نزعة إلى الإهمال أودّ أن أحذّره من خطرها عليه، أو مع ولد آخر لم يدرك بعد فعليّاً أهمّيّة المناولة فأمنعه عنها لأنبّهه إلى استهتاره وأوقظ حسّه الرّوحيّ المتبلّد. كلّ ذلك يقتضي منّي التّعرّف على شخصيّة كلّ ولد بالذّات ومتابعتي لسيرتها. ثمّ إنّني، إذا رأيت من المناسب منع الولد المتأخّر عن المناولة، فالأفضل أن أحاول إقناعه بفحوى هذا المنع (إذا سمح الظّرف بالتّحدّث إليه) كي أحمله إلى أن يقبله، ما أمكن ذلك، مختاراً

ج- حجم التّأخّر

كذلك لا بدّ أن تُؤخَذَ في الحساب نسبةُ تأخّر الولد عن القدّاس وتكرار هذا التّأخر، (مع تبيان ذلك للولد، على الفور أو بعد حين، ليقتنع بصوابيّة التّدبير المتّخذ بمنعه عن المناولة ويرى فيه، لاعقاباً أو زجراً، بل حافزًا له على مزيد من الوعي والنّضج، فيتبنّاه على هذا الأساس ويحوّله إلى رقابة داخليّة لسلوكه ومحاسبة لنفسه).

إعداد الأولاد للمناولة يتجاوز الشّرطَيْنِ المذكورَيْنِ:

إلاّ أنّ إعداد الأولاد للمناولة يتجاوز مجرّد مطالبتهم بالامتناع عن الطّعام أو حتّى بالمشاركة في كامل القدّاس، فهناك أعمال المحبّة والمصالحة الّتي هي بالغة الأهمّيّة كاستعداد روحيّ لاستقبال ربّ المحبّة والتّحوّل إليه. (وبما أنّ القاعدة المتّبعة في ذلك الحين في أسرة الطّفولة في فرع الميناء، والتي فرضتها آنذاك ضرورة عمليّة، كانت تقضي بأن يحدّد دورٌ لكلّ مجموعة أطفال للتّقدم إلى المناولة، اقترحتُ أن يُتخّذ ذلك الدّور مناسبة تستعد فيها المجموعة للمناولة على الوجه التّالي:

أن يخصّص جزء من الاجتماع السّابق لأحد المناولة، لتداول المجموعة في الخلافات والحساسيّات الّتي قد تكون قائمة بين أفرادها، وصولاً إلى التّفاهم والتّصافي والاعتراف بالأخطاء المتبادلة والاستغفار والمصالحة، ويعطي المرشد القدوة بهذا الشّأن.

أن تطلق، في ذلك الاجتماع بالذّات، حملة توفير من شراء الكماليّات (من حلويات وسواها) يقوم بها الأطفال بهدف تخصيص ريعها لخدمة المحتاجين الّذين وحّد الرّبّ نفسه بهم، فيتعهّد كلّ واحد من أفراد المجموعة بأن يضع جانباً ما يوفّره لهذا الغرض وأن يأتي به صباح أحد المناولة ليلقيه في «صندوق محبّة» يكون بمثابة قربان يقدّمه الأولاد في قدّاس مناولتهم فيجعلون بذلك أنفسهم في تجاوب وانسجام مع تقدمة المسيح ويستعدّون للقائه بمدّ يد العون لأحبّائه.

+ + +

يتبع...

التّقليد الأرثوذكسيّ

الأب يوحنّا رومانيدس
نقلها إلى العربيّة الأب أنطون ملكي

الموضوع الحالي هو ما هو جوهر التّقليد الأرثوذكسيّ. يمنحنا التّقليد الأرثوذكسيّ طريقة لشفاء النّوس والنّفس البشريّيْن.

لهذا الشّفاء، كما سبق ذكره، مرحلتان: الاستنارة والتّألّه. التّألّه هو حالة تأهّل الإنسان لرؤية اللّه، وهو ضمانتنا بإمكانيّة الشّفاء. هذه الطّريقة العلاجيّة، هذه المسار العلاجيّ، اللذين يقدّمهما التّقليد الأرثوذكسيّ، تسلّمهما جيل من جيل من النّاس الّذين، ببلوغهم حالة الاستنارة أو التّألّه، صاروا معالجين لغيرهم. نحن لا نتحدّث هنا عن مجرّد معرفة تمّ تمريرها بالكتب، بل عن تجربة، تجربة الاستنارة وتجربة التّألّه، انتقلت بالتّسليم تسلسليّاً، من شخص إلى آخر.

نلاحظ في العهد القديم أن أحداً غير أنبياء الإسرائيليّينَ وبطاركتهم لم يبلغ إلى حالتَيِ الاستنارة والتّألّه. هذه ظاهرة تاريخيّة. قبل الأنبياء، كان البطاركة. قبل موسى، كان إبراهيم. نجد في العهد القديم أنّ وعي حالات الاستنارة والتّألّه كان موجوداً حتّى قبل إبراهيم الّذي عاين اللّه، ما يعني أنّه بلغ التّألّه. هذا واضح تماماً. لدينا أيضاً إثبات من التّقليد اليهوديّ بأنّ الاستنارة والتّألّه وُجدا في الفترة قبل إبراهيم بين آبائه، كَنوح مثلاً. بالنّهاية، تقليد الاستنارة والتّألّه هذا، هو شيء تمّ تسليمه من جيل إلى جيل لاحق. لم ينشأ من لا شيء. لم يظهر فجأة في القرن الحادي عشر أو الثّاني عشر قبل المسيح.

كما عندنا العهد القديم عندنا العهد الجديد حيث رؤية هذه الأمور أسهل، إذ إنّ الفترة الّتي يغطّيها محدودة، بينما العهد القديم يغطّي ١٥٠٠ سنة من التّاريخ. الآن يوجد تقليد مركزيّ موحِّد تدور حوله هذه الفترة الممتدّة ١٥٠٠ سنة. وهذا التّقليد هو تقليد الاستنارة والتّألّه الّذي سُلِّم من نبيّ إلى نبيّ هو جوهر التّقليد الأرثوذكسيّ. بتعبير آخر، جوهر التّقليد الأرثوذكسيّ هو تسليم تجربة الاستنارة والتّألّه من جيل إلى الجيل الّذي يتلوه. إنّه يمتدّ زمنيّاً من إبراهيم في العهد القديم إلى يوحنّا السّابق. إنّه التّقليد النّبويّ، تقليد البطاركة والأنبياء.

لكن حتّى قبل الفترة الّتي نتحدّث عنها، هناك فترة أولى، تمتدّ من آدم إلى نوح إلى إبراهيم. اليوم، أكّد علم الآثار صحّة الأحداث التّاريخيّة المذكورة في العهد القديم أقلّه إلى زمن موسى. واليوم، ليس ما من أحد يشكّك بالقيمة التّاريخيّة لنصّ العهد القديم. ولكن حتّى قبل موسى، حتّى من زمن إبراهيم، تمّ اكتشاف آثار تؤكّد ما ورد في العهد القديم حول شخص إبراهيم.

إذاً، يمكن أن نرى أنّ جوهر التّقليد الأرثوذكسيّ ليس في الكتاب المقدّس، بل في تمرير تجربة الاستنارة والتّألّه الّتي سُلِّمَت من آدم إلى زماننا.

يرى البعض اليوم أنّ ما يُسمّى اللاّهوت التّنزيهيّ هو فلسفة متأثّرة بالأفلاطونيّين[1] الجدد. ما من شكّ بأنّ تعابير الأفلاطونيّين الجدد مشابهة لتعابير ىباء الكنيسة. كما أنّ للأفلاطونيّين الجدد لاهوتهم التّنزيهيّ، ولكن مع فرق أساسيّ: تتميّز الأفلاطونيّة الجديدة بالوجد (ecstasy) الّذي هو خبرة شيطانيّة برأي آباء الكنيسة. خلال تجربة الوجد، يترك العقل البشريّ حدود الزّمان والمكان، يفقد كلّ تسلسل فكريّ ويتّحد بما هو من المفترَض أنّه حقيقة ثابتة. بتعبير آخر، يدّعي الأفلاطونيّون الجدد أنّهم يتخطّون الزّمن والعالم المتغيّر. في

هذه العمليّة، يرون أنّ الجسد سيّء أو سلبيّ. لا يشترك الجسد في تجربة الأفلاطونيّين الجدد ولا بأيّ شكل. بالنّسبة لهم، اللاّهوت التّنزيهيّ بكامله هو ببساطة تطهير الفكر البشريّ من خلال اقتلاع كلّ العيوب المتأصّل في طبيعته المحدودة.

هذا التّحرر من عيوب الفكر البشريّ هو مصدر اللاّهوت التّنزيهيّ النيوأفلاطونيّ. مع هذا، إنّهم لا يقومون بأيّ جهد ليتحرّروا من الكون المخلوق، بل من العالم المتبدّل، لأنّ فلسفة الأفلاطونيّة الجديدة والماورائيّات لا تتضمّن مبادئ أو مفاهيم مثل الخلق من العدم أو الوجود غير المخلوق. إنّهم لا يميّزون بين المخلوق وغير المخلوق. على العكس، الفئة الأساسيّة في الفكر المسيحيّ هي التّمييز الواضح بين المخلوق وغير المخلوق إلى جانب التّعليم باستحالة وجود أيّ شبه بينهما. هذه العقيدة ليست الأساسيّة في التّقليد الآبائي وحسب، بل وأيضاً في التّقليد اليهوديّ إلى اليوم.

إذاً، نحن مؤتَمَنون على كنز هو لاهوت التّقليد الأرثوذكسيّ. اللاّهوت الأرثوذكسيّ هو ذروة ونتاج عصور من التّجارب الّتي كرّرها وجدّدها وسجّلها أولئك الّذين اختبروا التّألّه في مختلف الأزمنة. عندنا تجربة البطاركة والأنبياء كما خبرة الرّسل اللاّحقة. نحن ندعو كلّ هذه الخبرات «تمجيداً» (glorification). أن نقول بأنّ النّبيّ مُجّد يعني أنّ النّبيّ رأى مجد الله. القول بأنّ الرّسول مُجّد يعني بأنّ الرّسول رأى مجد المسيح. برؤية مجد المسيح، تأكّد الرّسول بأنّ مجد المسيح في العهد الجديد هو مجد الله في العهد القديم. وعليه، المسيح هو يهوه وآلوهيم العهد القديم.

مع أنّه ليس واضحاً مَن هو الرّوح القدس، اكتشف الرّسل ذلك بالتّجربة.

إنّ خبرتهم هي تكرار لتجربة الأنبياء مع فارق أنّ الرّسل مُجّدوا بعد التّجسّد: صار ليهوه العهد القديم طبيعة المسيح البشريّة. ومع أنّ ثلاثة من الرّسل مُجّدوا جزئيّاً عند تجلّي الرّبّ على جبل ثابور، إلاّ أنّ الرّسل جميعاً مُجِّدوا في العنصرة، حين بلغوا أرفع درجات التّمجيد الّتي يمكن أن يبلغها إنسان.

بعد خبرات الرّسل تأتي خبرات الّذين مُجّدوا ومنهم آباء الكنيسة والقدّيسون الّذين بلغوا التّألّه. وهكذا استمرّت خبرة التّألّه بالظّهور في كلّ الأجيال إلى اليوم.

خبرة التّألّه هذه هي جوهر التّقليد الأرثوذكسيّ وقاعدة المجامع المسكونيّة والمحليّة وأساس الشّرع الكنسيّ والحياة اللّيتورجيّة اليوم.

إذا ابتغى اللاّهوتيّ الأرثوذكسيّ اكتساب الموضوعيّة، عليه أن يتّكل على خبرة التّألّه. بتعبير آخر، يمكننا إيجابيّاً أن نعلن أن تلميذ التّقليد الآبائيّ اكتسب الموضوعيّة في نهجه اللاّهوتيّ فقط عندما يجتاز شخصيّاً التّطهر والاستنارة ويبلغ التّألّه. بهذا السّبيل لايفهم الباحثُ التّقليدَ الآبائيّ وحسب بل يتحقّق بنفسه من حقيقة هذا التّقليد بالرّوح القدس.

١- الأفلاطونيّون الجدد هو فلاسفة انتموا إلى آخر المدارس الفلسفيّة الإغريقيّة الّتي اتّخذت شكلها النّهائيّ في روما في القرن الثّالث بقيادة بلوتينوس (٢٠٥-٢٧٠م) كاتب الآنيادا.

القيامة
(شرح أيقونة القبر الفارغ)

الأرشمندريت إفرام الطّعمي

القيامة: عيد الأعياد وموسمُ المواسم. الفرح الدّائم بأنّنا عبَرنا من الأرض إلى السّماء. من الموت إلى الحياة. من الظّلمة وظلال الموت إلى النّور والحياة الأبديّة. الجحيم دِيسَ وما من موتٍ بعدُ. الموتُ أُميت ونحن بتّنا أحياء. قام المسيح فَلنفرح ونتهلل به. قام المسيح فَصارت لنا الحياة. قام المسيح فَله المجد والعزّة إلى دهر الدّاهرين. اليوم تبتهج كلّ الملائكة وتفرح كلّ القوّات السّماويّة لأجل خلاص كلّ الجنس البشريّ. فإنْ كان هناك فرح في السّماء بِخاطئ واحد يَتوبُ، فَبِالأوْلى كثيراً يكون هذا الفرح بِخلاص البشريّة. اليوم تَحرّرَ الجنسُ البشريّ من قبضة الشّيطان وأُعيد الإنسان إلى رتبته الأولى، إذ إنّ المسيح انتصر على الموت. إنّني لا أخاف بعد ولا أرتعب من الحروب الشّيطانيّة. ولا أنظر إلى ضعفي، لكنّني أتطلّع إلى قوّة ذاك الّذي صار لي سنداً وعوناً، أتطلّع إلى ذاك الّذي هزم الموت ونزع طغيانه. اليوم يسود الفرح والابتهاج الرّوحيّ كلّ المسكونة. (القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم).

مقدّمة: الأيقونة التّقليديّة لقيامة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد، هي تلك الّتي تُظهره دائساً الموتَ، وكاسراً أمخال الجحيم وناهضاً من بين الأموات وممسكاً بذراعيه كلّاً من آدم وحواء، وباديةٌ عليه علامات الغلبة والظّفر، أي آثار المسامير في يديه ورجليه وأثر الجنب المطعون، وملتفٌّ حوله عددٌ من شخصيّات العهد القديم الّذين خرجوا من القبور بفعل قيامة المسيح وظهروا لكثيرين (متّى ٢٧: ٥٣). أمّا ما نحن بصدد شرحه اليوم هو إحدى الأيقونات الّتي تشرح جانباً أو عدّة جوانب من قيامة ربّنا يسوع المسيح بالجسد، ألا وهي أيقونة القبر الفارغ حيث يظهر القبر فارغاً. والسّباني ملفوفةً، وغطاء الوجه مطويّاً على حِدَةٍ، والملاك أو الملاكَيْن جالسَيْن على الحجر مخاطبَيْن النّسوة اللّواتي بكّرْنَ جدّاً ليزُرْنَ القبر ويُطيّبن جسد الدّفين. ومن هنا يُطلق على هذه الأيقونة، في بعض الأحيان، «بزيارة حاملات الطّيب».

- الفهرست -

المكان: خارجيّ، ولهذا تظهر التّضاريس من جبال ونباتات دلالة على أنّ الحدث جرى خارجاً. فَالقبر كان ضمن بستان سبَق واشتراه نيقوديمس وهيّأه وكان جديداً (متّى ٢٧: ٥٩-٦٢). وعندما دُفن فيه يسوع وضع اليهود حرّاساً كي لا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه. هؤلاء صاروا كالأموات عند حدوث الزّلزلة العظيمة وظهور الملاك باللّباس الأبيض البرّاق (متّى ٢٨: ١-٤).

القبر الفارغ والسّباني: يظهر كَمِن سَواد قاتم آتٍ إلى بياض الأقمطةِ الدّالّة على النّور القياميّ. فَالمسيح من هذه الظّلمة سَطع بِنور أبهى من الشّمس، ومن القبر نهض منبعثاً.

الحجرُ مُدحرجٌ عن باب القبر من قِبَلِ الملاك لتمكين النّسوة من الدّخول ومعاينة القيامة حسّيّاً. إذ عندما بكّرتِ النّسوة مسرعات إلى القبر كُنّ يتطلّعْنَ لزيارة الجسم الدّفين وتطييبهِ، لكنّهنّ تفاجأْنَ بالحجر قد دُحرج والقبر فارغٌ والأقماط فقط موجودة، تلك الّتي لُفّ بها جسده وكأنّ أحداً خلعها كما يخلع الثّوب، وأمّا الّتي لُفّ بها وجهُه فكانت مطويّةً موضوعةً على حدةٍ. ولهذا دلالة عظيمة وإشارةٌ هامّة لقيامة المخلّص. إذا درجَت عادةٌ عند الآراميّين (وهي متّبعة كتقليد في المجتمعات الغربيّة والرّاقية)، أنّه إن حدث أمرٌ طارئ خلال فترة تناول صاحب الوليمة طعامَه واضطرّ للنّهوض للنّظر في هذا الأمر فإنّه يقوم ويطوي منديله بشكل مرتّب ويضعه على حِدَةٍ لِيفهمَ موليميه أنّه عائد ليكملَ فرحه وعشاءه معهم. وهذا صنعه المسيح يوم قيامته إذ ترك منديل الوجه مطويّاً مرتّباً كرسالة بأنْ لا تحزنوا فإنّي عائدٌ من الموت، فَذهابي هو فقط لأُميتَ الموت ولأبشّر الّذين استولى عليهم الجحيم منذ القديم.

الملاك: يظهر في حالة المستريح للخلاص الّذي تمّ بقيامة المسيح، وهو الجالس على الحجر من بعد أنّ دحرجه لتمكين النّسوة من معاينة فراغ القبر من ساكنه، والشّروع بالبشارة بالقيامة. هيّأتُه ناصعةٌ لامعةٌ برّاقة، متسربلاً حلّةً بيضاء نقيّةً نقاء قيامة المخلّص، مشيراً بإصبعه إلى السّباني الفارغة ومؤكداً لهنّ بأنّ الّذي يطلبْنَه ليس هو ههنا، لكنّه قد قام من بين الأموات.

حاملات الطّيب: كما قلنا بأنّ إحدى تسميات هذه الأيقونة هي: حاملات الطّيب، لذا فهنّ يشكّلْنَ عنصراً أساسيّاً جدّاً فيها، فَمَنْ هنّ: إنّهنّ مجموعة من النّساء تتقدّمهنّ أمّه مريم، رافقْنَه في بشارته وبَقيْنَ معه حتّى الصّلب وبعدما دُفن الرّبّ يسوع، عايَنّ المكان حيث وُضع، حتّى يأتينَ باكراً في أوّل الأسبوع ويُطيّبْنَ جسده الدّفين (متّى ٢٨، مرقس ١٦، لوقا ٢٤، ويوحنّا ٢٠) وهنّ:

العذراء مريم والدة الإله: هي أوّل مَن رأى القبر فارغاً وأوّل مَن ظهر لها يسوع ناهضاً من القبر، وأوّل من أرسلها لإعلان قيامته كما ورد في الأناجيل الأربعة)متّى ٢٨: ١، مرقس ١٦: ١ و٩، لوقا ٢٤: ١٠ ويوحنّا ٢٠: ١(. هي امرأة مميّزة، "رسولة الرّسل" كما ندعوها في تقليدنا لأنّها هي الّتي بشّرتِ الرّسل بالقيامة.

مريم المجدليّة: هي الّتي طَرد منها الرّبّ يسوع سبعةَ شياطين، فتبعتْهُ وتتلمذَت له ورافقته في كلّ تنقّلاته وآلامه حتّى الدّفن، وهي الّتي حدّثها المسيح من بعد أن ظنّته البستانيّ وعرفته عندما قال لها كفّي عن لمسي فلم أصعد بعد إلى أبي فهتفت

نحوه «رابوني» أي يا معلّم (يوحنّا ٢٠: ١٦، ١٧). هذه من بعد قيامة المسيح من بين الأموات وصعوده إلى السّماء، ذهبت إلى مدينة روما عاصمة الإمبراطوريّة الرّومانيّة وقابَلتْ الإمبراطور طيباريوس قيصر، وأخبرته بمحاكمة يسوع وصلبه وموته على الصّليب ودفنه بين الأموات، ولكنّها صرخت أمامه وأمام كلّ الحاضرين قائلةً:» ولكنّه قام بالجسد من بين الأموات»، فما كان منه ومن الحاضرين إلاّ أن ضحكوا وسخروا منها. وقال لها الإمبراطور: يا امرأة، لا أحد يقوم بالجسد من بين الأموات. فتابعت قائلة :» المسيح قام وأنا رأيته، كلّمني وأنا كلّمته». عندها قال لها:» إن أصبحت هذه البيضة البيضاء الّتي تحملينها في يدك حمراء، يكون مسيحُك هذا الّذي تتكلّمين عنه قد قام من بين الأموات»، وأشار بيده لكي يصرفوها إذِ اعتبرها مجنونة. عندها وبتدخّل إلهيّ وأمام أعين الجميع تحوّلتِ البيضة الّتي في يدها إلى بيضة حمراء اللّون. فَانذهل الجميع ممّا حدث ولكنّ الشّيطان أعمى قلوبهم فَاتّهموا عملها بالسّحر والشّعوذة. عندها خرجت مريم تسبّح الله وتبشّر المسكونة بقيامة الرّبّ. وانتهى الأمر بها في أفسس حيث رقدت هناك بالرّبّ ودفنها القدّيس يوحنّا الإنجيليّ الملقّب باللّاهوتيّ.

سالومة: هي زوجة زبدى وأمّ يوحنّا اللاّهوتيّ والرّسول يعقوب.

حنّة: هي امرأة خوزي الّذي كان مدبّرَ منزلِ الملك هيرودس أنتيباس.

مريم ومرتا: هما أخوات لعازر الّذي أقامه الرّبّ يسوع من بين الأموات بعد أربعة أيّام. مريم: هي زوجة كليوبا.

سوسنا: (لوقا ٨: ٢-٣). ونساء أخريات غير معروفاتٍ تبعنَ يسوع وبَقيْن معه حتّى الصّلب وعايَنّ قيامته.

الخاتمة: هذه هي أيقونة القيامة المخبرة عن قبرٍ فارغٍ، عاينّه نساءٌ رافقْنَ المسيح حتّى الصّليب والموت في حين غادره وهجره التّلاميذ جميعاً، إلاّ يوحنّا الحبيب، فاستحقَقْنَ أن يعايِنّ المسيح قائماً من بين الأموات، وأن يحملن هنّ البشارة بالقيامة للتّلاميذ ومنها للعالم أجمع. إنّهنّ الرّسولات، المبشّرات، الخادمات للكلمة الإلهيّة، والحاملات فرح القيامة للجميع. فَالمجد لقيامتك يارب. فقد قام يسوع من القبر كما سبق وقال، ومنحَنا حياةً أبديّةً والرّحمة العظمى.

المسيح قام ... حقّاً قام

القدّيس يوحنّا السّابق في التقليد الليتورجي الأرثوذكسي

عن موقع عائلة الثّالوث القدّوس

مقدمة

يوحنّا المعمدان هو آخر الأنبيّاء وأوّل الرّسل، وهو موضع تكريم خاصّ في الكنيسة الأرثوذكسيّة كنبيٍّ، وكمعمِّدٍ وكسابق، ويشغل المكان الأوّل بعد والدة الإله في اجتماع القدّيسين. ولهذا السبب نرى السّابق ووالدة الإله يحيطان بالرّبّ يسوع في إيقونة الشّفاعة. وفي تحضير القربان المقدّس، يُذكر القدّيس يوحنّا المعمدان بعد والدة الإله، وأيضاً مع القدّيسين في آخر الإستحالة. والأمر كذلك لأن الرّبّ يسوع المسيح شهد بأنّ يوحنّا المعمدان هو «أعظم مواليد النساء» (متى ١١:١١).

على ذلك يكون تكريم السّابق، في الليتورجيّة الأرثوذكسيّة، في خط تكريم والدة الإله. وهذا الأخير في خط تكريم السيّد. في هذا السياق نعرض لتكريم السّابق في التقليد الليتورجي البيزنطي الذي ما زال التعبير الأفضل للاهوت الكنيسة الأرثوذكسيّة.

تذكار السّابق في الليتورجيّة

يُذكر يوحنّا المعمدان ست مرات في الدورة الليتورجيّة السنويّة في الكنيسة الأرثوذكسيّة: الحبل به (٢٣ أيلول)، مولده (٢٤ حزيران)، قطع رأسه (٢٩ آب)، أوّل وثاني ظهور لهامته (٢٤ شباط)، ثالث ظهور لهامته (٢٥ أيار) بالإضافة إلى عيدٍ جامع له (٧ كانون الثاني).

دورة السّابق

عيد مولد السّابق يسبق بستة أشهر عيد ميلاد الرّبّ يسوع المسيح، لأن الإنجيلي لوقا يحدّد أن بشارة والدة الإله حصلت عندما كانت نسيبة مريم، أي أليصابات، حبلى في شهرها السادس (لو ١:٢٦). في روما حُدِّد ميلاد السيّد المسيح في ٢٥ كانون الأوّل ليحلّ محل العيد الوثني لإنقلاب الشتاء (عبادة إله الشمس). عليه عُيّن عيد ميلاد يوحنّا المعمدان في ٢٤ حزيران وهو يوم انقلاب الصيف. هذا التاريخ الذي يبدأ طول النهار

فيه بالنقصان هو الأفضل لتذكار سابق المسيح، بحسب إنجيل يوحنّا، إذ قال السّابق عن نفسه: «ينبغي أنّ ذلك يزيد [المسيح وأنّي أنا أنقص» (يو ٣:٣٠). هذه العلاقة الوثيقة بين العيدَين السيّديّين للبشارة وميلاد المسيح من جهة وعيدَي الحبل بالسّابق وميلاده من جهة أخرى أُبرزت سابقاً في الحوليّة الفصحية

«Chronique Pascale» على عهد الأمبراطور هيراكليوس (٦٣٠). عيد الحبل بالصابغ، الذي يسبق بتسعة أشهر ميلاده، قُدّم إلى ٢٣ أيلول، لتنصير الإحتفال بالأمبراطور أغسطينوس، الذي كان يشير قديماً إلى بداية السنة المدنية ولاحقاً إلى السنة الكنسية. ومع هذا العيد دخلت القراءة الدورية لإنجيل لوقا في الليتورجيّة البيزنطيّة الذي وحده يروي قصة الحبل بيوحنّا المعمدان وولادته.

عيد قطع رأس يوحنّا المعمدان الذي هو ذكرى استشهاده حُدّد في ٢٩ آب وورد عنه في الأناجيل الثلاثة الإزائية (مت ١٤:١ – ١٢؛ مر ٦:١٧ – ٢٩؛ لو ٣:١٩ – ٢٠). هذا التاريخ ذو صلّة بتكريس كنيسة شيّدت في سبسطيا (السّامريّة) لتحوي رفات القدّيس، على عهد الأمبراطور قسطنطين. تجدر الملاحظة هنا إلى أن عيدي الحبل بالسّابق (٢٣ أيلول) وقطع رأسه (٢٩ آب) يمتدّان في السنة الليتورجيّة البيزنطيّة بين أيلول وآب، تماماً كعيدي والدة الإله التي ميلادها في ٨ أيلول ورقادها في ١٥ آب.

أعياد تكريم رفات السّابق

تكريم رفات السّابق كان السّبب في إدخال عيد العثور الأوّل والثّاني لهامة السّابق في ٢٤ شباط وعيد العثور الثالث لهامته في ٢٥ أيار إلى الليتورجيّة البيزنطيّة بالإضافة إلى العيد الجامع للسابق في ٧ كانون الثاني.

هذا ويُستفاد من التقليد أن قبر يوحنّا المعمدان كان، في القرن الرّابع، في السامرة، موضع إكرام المؤمنين. ثم دكّه يوليانوس الجاحد وبعثر عظامه. لكن بعض المسيحيّين تمكّنوا من إنقاذ ما أمكن وأتوا به إلى أورشليم ودفعوه إلى رئيس أحد الديورة واسمه فيليبوس الذي نقل الرّفات إلى القدّيس أثناسيوس الإسكندري. غير أن الحجّ إلى المدفن في سبسطيا استمر بضعة قرون. وثمة تقليد وصل إلى السلافيّين يُفيد أن حنّة، امرأة خوزي، وكيل هيرودوس، التي أمست إحدى حاملات الطيب (لو ٨:٢٤ – ١٠)، كشفت عن رأس السّابق المجيد الذي كان مدفوناً في موضع غير لائق، وأخذته سرّاً إلى أوُرشليم، إلى جبل الزّيتون، حيث وجده فيما بعد رجل من النبلاء صار راهباً.

بعد ذلك بزمن وصل إلى فلسطين راهبان من المشرق بقصد السّجود للأماكن المقدّسة. فظهر لهما السّابق في حلم الليل، كلاً على حدة، وقال لهما: «توجّها إلى قصر هيرودوس فتجدان هامتي تحت الأرض». وإذ قادتهما النعمة الإلهيّة سَهُل عليهما نبش الرأس فشكرا الله وعادا بالهامة من حيث أتيا. في الطريق التقيا فخّارياً من أصل حمصيّ، كان بائساً وترك موطنه سعياً وراء الرّزق. هذا، يبدو أنّ السّابق ظهر له في الحلم. وعلى الأثر خطف الهامة وعاد إلى حمص. هناك تيسّرت أموره ببركة السّابق. ولما كان مشرفاً على الموت، جعل الرأس في صندوق وسلّمه إلى شقيقة له، طالباً منها ألاّ تفتحه إلاّ بأمر المودع فيه، وان تسلّمه، متى أتت الساعة، إلى رجل تقي يخاف الله.

على هذا النحو انتقلت هامة السّابق من شخص لآخر إلى أن وصلت ليد كاهن راهب، اسمه أفسطاتيوس، اتخذ لنفسه منسكاً في مغارة غير بعيدة عن مدينة حمص. عيب هذا الراهب كان انه اعتنق الآريوسية. فلما حضّه الغرور على إثبات نفسه، ادّعى أن الأشفية التي كانت تجري بوفرة بوساطة هامة السّابق هي منه هو. ولم يمضِ وقت طويل على أفسطاتيوس حتى بانت هرطقته وسيئاته فطُرد من ذلك الموضع. أما رأس السّابق فبقي مواراً في المغارة إلى زمن لاحق حدث فيه أن كان المدعو مركلّوس، وهو راهب تقيّ، رئيساً لدير بقرب تلك المغارة، في زمن الأمبراطور مرقيانوس (٤٥٠ – ٤٥٧ م)، وأسقفيّة أورانيوس على كنيسة حمص. في ذلك الزمان، ظهر السّابق المجيد لمركلّوس عدّة مرّات وأحبّه وقدّم له إناء من العسل. ثم بعد ذلك قاده إلى زاوية في المغارة. هناك بخّر مركلّوس وباشر بالحفر فبان له الرأس، تحت بلاطة من المرمر، في جرّة. وإن أسقف المحلّة نقله إلى الكنيسة الأساسيّة في حمص فأضحى للمدينة برمتها نبع بركات وخيرات فيّاضة. هذا دام إلى زمان الأمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ – ٨٦٧) وبطريرك القسطنطينيّة القدّيس أغناطيوس حين تمّ نقله إلى المدينة المتملّكة. نَقلُ الهامة الذي جرى يومذاك كان في أساس عيد العثور الأوّل والثاني لهامة السّابق في ٢٤ شباط.

فُقدت الهامة ، مرّة أخرى، في حدود العام ٨٢٠ م، ربما خشية وقوعها بين أيدي المسلمين. وقد قيل إنها نُقلت إلى كومانا التي سبق أن جرى نفي الذهبي الفم إليها. الوقت، يومذاك، كان

وقت الطعن بالأيقونات المقدّسة، وما يمتّ إليها بصلة. هناك، في الأرض، في مكان ما، جرت مواراتها. فلما استُعيد إكرام الأيقونات، مرّة أخرى، حدث، فيما كان القدّيس البطريرك أغناطيوس القسطنطيني قائماً في صلاة الليل، أن عاين، في رؤية، الموضع الذي كانت فيه هامة السّابق المجيد مخبّأة. فنقل الخبر إلى الأمبراطور ميخائيل الثالث وأمه ثيودورة. فأوفد الأمبراطور بعثة إلى كومانا لتستطلع الأمر. وبالفعل جرى الكشف عن هامة السّابق في المكان المعيّن. كان ذلك في حدود العام ٨٥٠ م. على الأثر جرى نقلها إلى القسطنطينية حيث أُودعت إحدى كنائس القصر الملكي وصار يُحتفل بوجودها الثالث في ٢٥ أيار من كل عام.

أما العيد الجامع للسابق في ٧ كانون الثاني، اليوم التالي لعيد الظهور الإلهي، فقد ثَبُت إثر نقل يد السّابق اليمنى من أنطاكية إلى القسطنطينية في عهد الأمبراطورَين قسطنطين السّابع البرفيري وورومانوس الثاني ليكابينوس، اليد التي نقلها من أورشليم القدّيس لوقا الإنجيلي.

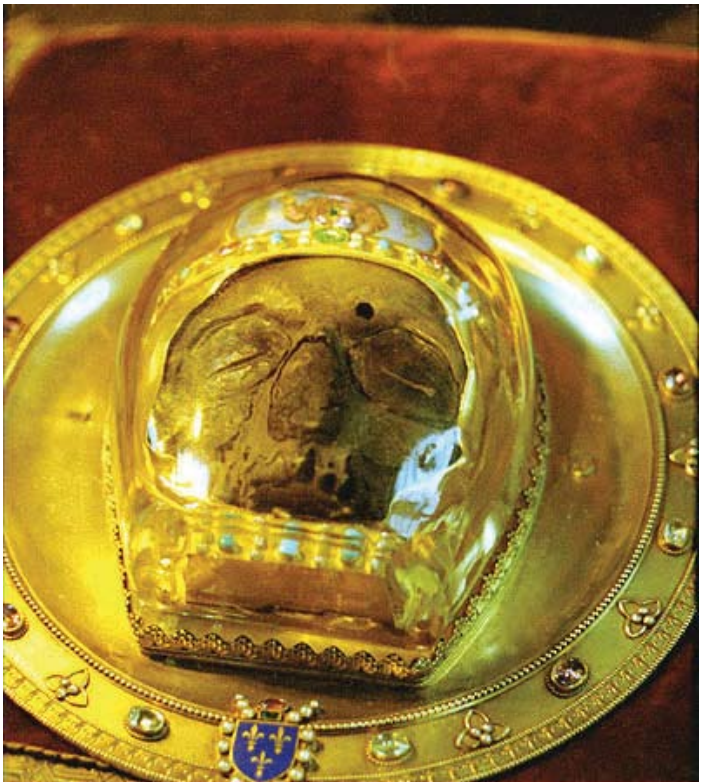

هامة السّابق في كاتدرائية أميان في فرنسا

هامة السّابق التي كان يُحتفظ بها في دير القدّيس جاورجيوس في القسطنطينية، سطا عليها الصّليبيّون أثناء حملتهم على القسطنطينية عام ١٢٠٤ وهي الأن ضمن كنوز كاتدرائية أميان في فرنسا. أما يده اليمنى فهي مكرّمة اليوم في دير ديونيسيو في جبل آثوس، فيما بيده اليسرى محفوظة في متحف توبكابي في اسطنبول، وهو القصر القديم الذي كان للسلاطين.

السّابق في المعزي

في الدورة الليتورجيّة الأسبوعية، تحتفل الكنيسة الأرثوذكسيّة بالسّابق كل يوم ثلاثاء. يحتوي المعزي على خدمة للسّابق خلال غروب الإثنين مساءً وسحر الثلاثاء في كل لحن من الألحان الثمانية. كتب الناظمان الموسيقيان الستوديتيان يوسف وثيودوروس الموسوم، متروبوليت نيصص، قطع القانون في كلٍّ من الألحان في القرن التاسع. نعرف أن الكنيسة الرئيسيّة في دير الستوديون كانت مكرّسة للسّابق، ولوقت طويل كانت تحتوي على هامة السّابق. عليه كان السّابق يحظى بتكريم خاصّ من قبل رهبان الستوديون، تشهد لذلك الترجمة السلافيّة لتيبيكون ألكسيوس الستوديتي. في هذا التيبيكون يُطلب ترتيل طروباريّة القدّيس يوحنّا المعمدان في غروب أحد الفرّيسي والعشّار، وأحد الإبن الشّاطر، وكل عيد كبير واقع يوم الأحد. لهذه الميزّة الأخيرة صلّة بإحتفالات كبيرة في كل أعياد السّابق: فقطع رأس السّابق في ٢٩ آب كان له خدمة ما قبل العيد وخدمة لبعد العيد، وأحد قبل قطع رأس السّابق؛ أما ميلاد يوحنّا المعمدان في ٢٤ حزيران فكانت تسبقه خدمة ما قبل العيد وتليه خدمة ما بعد العيد)الخدمة السّابقة للعيد تقع في ذكرى تكرّيس الكنيسة ليوحنّا السّابق(؛ وفي عيد العثور على هامة السّابق يُقرأ إنجيل سحر؛ وفي عيده الجامع في ٧ كانون الثاني يُحتفل بنقل يده من أنطاكية إلى القسطنطينية عام ٩٥٦.

لاهوت الخدم الليتورجيّة الموضوعة لتكريم السّابق.

بالنظر في النصوص الليتورجيّة التي كُتبت تكريماً لأعياد يوحنّا المعمدان، نستطيع أن يتبيّن معالم صورة السّابق في اللاهوت الأرثوذكسي. هنا نعرض تفصيلاً لبعض العبارات المختارة من النظم الموسيقي البيزنطي لهذه الأعياد.

ملاك المسيح

يتكلم النظم الموسيقي البيزنطي عن السّابق باعتباره «ملاك المسيح» أو «ملاك الرّبّ». هاتان العبارتان متشابهتان وهما

مأخوذتان من اليونانية «ἄγγελος» التي تعني ملاكاً ورسولاً، وتذكرنا بنبوءة ملاخيا النبيّ، الواردة أيضاً في إنجيل متى، حيث يؤكد السيّد: «ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدّامك» (مل ٣:١؛ متى ١١:١٠)، وهو قالها مشيراً إلى يوحنّا المعمدان.

هذه النبوءة التي فسّرها المسيح ألهمت ناظمي القطع الموسيقية في الخدم الليتورجيّة المخصّصة للسابق، وراسمي الإيقونات، الذين صوّروا القدّيس يوحنّا المعمدان وله جناحان. وقد علّق «ل. أوسبانسكي» و«ف. لوسكي» (L. Ouspensky & V. Lossky) على هذه الصورة التي تعبّر لا فقط عن وظيفة السّابق كمرسَل ليعدّ طريق الرّبّ، بل أيضاً عن كونه نموذجاً للحياة النسكية.

القدّيس جرمانوس القسطنطيني يسأل في نشيده المرتلّ في خدمة ٢٩ آب:

«ماذا ندعوك أيها النبيّ؟ أملاكاً؟ أم رسولاً؟ أم شهيداً؟ فملاكاً لأنك عشت كمن لا جسم له. ورسولاً لأنك تلمذت الأمم، وشهيداً لأن هامتك قد قُطعت من أجل المسيح. فإليه ابتهل أن يرحم نفوسنا.» (أوّل قطعة من الليتين)

عاش السّابق في البرّية يغتذي من الجرّاد والعسل البري (مت ٣:١ – ٤). عاش كملاك أرضي وإنسان سماوي» (ذكصا الليتين، غروب ٢٤ حزيران). وقد أصبح بذلك نموذجاً للحياة الرهبانية. قال فيه القدّيس صفرونيوس الأورشليمي مادحاً: «لقد افتتح يوحنّا المعمدان للبشر إمكانية العيش كالملائكة في الجسد، في البتوليّة، والنسك، والتأمّل». لذلك ليس من المستغرب أن يكون ناظم الموسيقى البيزنطيّة قد مدح أنطونيوس الكبير، «أب الرهبان»، بـ «أنه ماثل ايليّا الغيّور في أحواله، وتبع المعمدان في مناهجه القويمة» (طروبارية القدّيس أنطونيوس الكبير ١٤ كانون الثاني).

وأيضاً في النظم الموسيقي عنه أنه «الملاك الكارز في الأقطار برسول الرأي العظيم» (المعزي، اللحن الأوّل، سحر الثلاثاء، الأودية الثامنة، قانون السّابق). رسول الرأي العظيم هو الإسم المسيحاني الذي أعطاه أشعياء النبيّ لعمانوئيل، الله معنا، أي المسيح (اش ٩:٦ الترجمة السبعينيّة). الأوّل هو الملاك المبشِّر بالملاك الثّاني. في هذه العبارة نجد تفسيراً للعبارة «ملاك المسيح».

إيليا الجديد

النصوص الليتورجيّة تظهر لنا السّابق كـ «إيليّا جديد» (قانون ٧ كانون الثاني التابع لخدمة الظهور الإلهي، الأودية السابعة). في الواقع، كان الشّعب العبريّ ينتظر عودة إيليّا قبل مجيء المسيح، بحسب نبوءة ملاخي: «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبيّ قبل مجيء يوم الرّبّ، اليوم العظيم المخوف». (مل ٣:٢٣).

هذا ما يفسّر أنّ البعض، بحسب الرّسل، اعتقد أنّ المسيح هو إيليّا (مت ١٦:١٤، مر ٦:١٥، ٨:٢٨؛ لو ٩:٨ – ١٩). بهذا المعنى، وجود إيليّا إلى جانب الرّبّ يسوع في التجلّي الإلهيّ له دلالته. من ناحية أخرى، غالباً، عرّف أباء الكنيسة شاهدي الدينونة اللذين سوف يعودان إلى الأرض لإعلان المجيء الثاني للرّبّ يسوع المسيح باعتبارهما إيليّا وأخنوخ (رؤ ١١:٣ – ١٠).

هذا يعطينا أن نفهم أنّ الملاك الذي بشّر بالحبل بالسّابق قال بالتحديد أنّ هذا الأخير سوف يتقدّم المسيح «بروح إيليّا وقوّته» (لو ١:١٧). في إنجيل متّى، يقول لنا المسيح عن يوحنّا المعمدان إن «هذا هو إيليّا المزمع أن يأتي» (مت ١١:١٤)، وأيضاً «إن إيليّا قد عاد» (مت ١٧:١٠ – ١٢). كذلك اتّبع ناظمو الألحان

- الفهرست -

التفسير الذي أعطاه الرّبّ يسوع المسيح في إنجيل متّى.

صورة إيليّا، على غرار صورة الملاك، ساهمت في جعل السّابق نموذجاً للحياة الرهبانيّة التي هي قبل كل شيء حياة توبة.

الكارز بالتوبة

ناظمو الألحان أشاروا أيضاً إلى أنّ السّابق هو الكارز بالتوبة (قنداق ٢٤ شباط؛ الطروبارية الثانية من الكاثسما بعد الأودية الثالثة في خدمة ٢٥ أيار؛ والقانون الثاني لسحر ٢٤ حزيران للقدّيس أندراوس الكريتي، الأودية الرابعة: الطروبارية الأوّلى، والأودية الخامسة: الطروبارية الرابعة؛ والغروب الكبير لخدمة ٢٩ آب، الإيذيومالا الأوّلى من الأبوستيخن؛ وفي مواضع عدة من المعزي). يستندون في ذلك إلى إنجيل متّى حيث يقول إنّ السّابق يكرز في بريّة اليهوديّة، قائلاً: «توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السّموات» (مت ٣:٢). هنا يظهر يوحنّا المعمدان فعلاً كسابق للمخلّص الذي بدأ كرازته بالكلام عينه (مت ٤:١٧).

وفي موضع آخر، يروي الإنجيلي متّى عن كرزاة يوحنّا المعمدان بالتوبة: «الآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيّداً تُقطع وتُلقى في النار». (مت ٣:١٠).

بكلمات الدينونيّة هذه، يعلن السّابق قرب دينونة العالم (يوحنّا ١٢:٣١). هذه الأقوال للسّابق ألهمت كاتبي الأيقونات رسم فأس موضوعة على شجرة في بعض أيقونات يوحنّا المعمدان.

وهذه الأقوال عينها سيكرّرها المسيح (مت ٧:١٩). هذا الحدث يشهد مرة أخرى للعلاقة الوثيقة التي تجمع خدمة السّابق الرسوليّة والتدبير الإلهي. وقد علّق عليه الأب سرجيوس بولكاكوف، وهو لاهوتيّ روسيّ كبير من القرن العشرين، في أحد الكتب القليلة المكرّسة لشخصيّة السّابق في الكنيسة الأرثوذكسيّة:

«الحياة والكرازة، في أعمال السّابق، تدخلان في تدبير سيّدنا يسوع المسيح كتمهيد له، وكجزء منه لا يتجزّأ ولا ينفصل، كما دخلت حياة والدة الإله ولكن على نحو خاص مختلف.»

مصباح (سراج) النور

ناظمو الموسيقى البيزنطيّة غالباً ما يتحدثون عن السّابق باعتباره «مصباح الشّمس» و «مصباح النّور» و «مصباح المسيح» و «مصباح الرّبّ (السيّد)» (طروبارية ٢٤ أيلول؛ قانون ٢٤ أيلول للقدّيس يوحنّا الدّمشقي: في الأودية الثّالثة والسّادسة؛ قانون ٢٤ حزيران للقدّيس يوحنّا الدّمشقي: الأودية الخّامسة؛ قانون ٢٤ حزيران للقدّيس أندراوس الكريتي: الأودية الخّامسة والسّادسة؛ قانون ٢٩ آب للقدّيس يوحنّا الدّمشقي: الأودية السّابعة؛ قانون ٢٩ آب للقدّيس أندراوس الكريتي: الأودية التّاسعة؛ وفي مواضع أخرى من أعياد ٧ كانون الثاني و٢٥ أيار والألحان الثمانية من المعزّي في يوم الثلاثاء المخصّص للسّابق). يعتبرونه أيضاً «الكارز بالنور» (المعزي، اللحن الثامن، سحر الثلاثاء، الطروبارية الثانية من الأودية السابعة التابعة للسّابق). كل هذه العبارات تتشابه في قولها إنّ المسيح السيّد هو الشّمس والنور. وتشبيه المسيح بـ «شمس العدل» المرتّلة في الموسيقة البيزنطيّة في عيد ميلاد المسيح، أُخذت من النبوءة المسيحانيّة لملاخي النبيّ ٤:٢ الذي يعلن أنه سوف «تشرق شمس البرّ والشفاء في أجنحتها».

في الإنجيل اليوحنّائي، يُظهر المسيح نفسَه باعتباره «نور العالم» (يو ٨:١٢) و «النور الحقيقي» (يو ١:٩). ويُحدّد يوحنّا الإنجيلي أن يوحنّا المعمدان كسابق جاء لـ «يشهد للنور» (يو ١:٧)، ويوضح في مقدّمته: «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» (يو ١:٨). اللاهوت اليوحنّائي ألهم ناظمي الموسيقى البيزنطيّة عن السّابق أنه مصباح النّور، فبقوا أمناء للاهوته. والواقع أن، المسيح نفسه يقول عن يوحنّا المعمدان في يو ٥:٣٥ أنه «هو السّراج الموقد المنير».

موضوع «المصباح» و «الشمس» قديم، إذ إنّه كما ذكرنا آنفاً، دفع الكنيسة في روما لتحديد عيد ميلاد المسيح في ٢٥ كانون الأوّل، إبتداء من القرن الرّابع، حالاً محلّ عيد عبادة الشّمس المحدد في يوم انقلاب الشتاء. منذ ذلك الحين، عُيّن عيد ميلاد السّابق في ٢٤ حزيران، لا فقط لأنه يكبره بستة أشهر، بل لأنّ هذا اليوم يقع فيه انقلاب الصيف، الذي يبدأ بعده النهار في الإنتقاص. وقد أخذت الكنيسة في الإعتبار، مرة أخرى، شهادة المعمدان، المذكورة في إنجيل يوحنّا: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣:٣٠).

صوت الكلمة

تكلّم ناظمو الألحان البيزنطيّة عن السّابق باعتباره «صوت أو بوق الكلمة» (غروب ٢٤ حزيران القطعة الأوّلى على «يا ربي إليك صرخت» للقدّيس أندراوس الكريتي، وذكصا اللتين، بالإضافة إلى الإيذيومالا الثّانية من الأبوستيخن؛ قانون ٢٩ آب للقدّيس أندراوس الكريتي، الأودية التّاسعة القطعة الثّالثة؛ قانون ٢٥ أيار، الأودية الأوّلى، القطعة الأوّلى؛ ومواضع مختلفة من المعزّي على الألحان الثمانية في يوم الثلاثاء المخصّص للسّابق). هنا لعبوا على مدلول الكلمة ليظهروا من جديد علاقة السّابق بالمسيح، المُشار إليه في مدخل الإنجيل الرّابع باعتباه «كلمة الله» (يو ١:١). وفي الإنجيل عينه، السّابق هو «الصوت الصارخ في البرّية قَوّموا طريق الرّبّ»، في ترداد لما ذُكر قديماً في نبوءة إشعياء النبيّ (إش ٤٠:٣؛ يو ١:٢٣).

هذه التسمية ذات الأصل اليوحنّائي تُظهر أنّ يوحنّا المعمدان بما أنه دعي ليكون صوت الكلمة، فقد حُلّ رباط لسان أبيه الذي عُقد لقلّة إيمانه (لو ١:٦٤)، كما وضع السّابق حدّاً لظلمة وظلال العهد القديم وهيّأ لمجيء العهد الجديد.

صديق العريس

لقد قدّم ناظمو الألحان البيزنطيّة السّابق باعتباره «صديق العريس» (قانون ٢٣ أيلول للقدّيس يوحنّا الدّمشقي: الأودية الثّامنة، الطروباريّة الأولى؛ غروب ٢٤ حزيران، قطع المساء على «يا ربّي إليك صرخت»: القطعة السّابعة؛ المعزّي: اللحن الأوّل، قانون السّابق، سحر الثلاثاء، الأودية التّاسعة، الطروباريّة الثانية). وقد استوحى الأب سرجيوس بولكاكوف عنوان كتابه المكرّس للسّابق من هذه العبارة المنقولة من إنجيل يوحنّا حيث يقول يوحنّا المعمدان:

«أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل أني مُرسل أمامه. من له العروس فهو العريس. أما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فإنه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل» (يو ٣:٢٨ – ٢٩).

هذا النص يذكّرنا بعرس المسيح –العريس والكنيسة– العروس، المصوّر في نشيد الأناشيد، والمرتّل في المزمور ٤٤، ويشير إليه الرّسول بولس في رسالته إلى أفسس)أف ٥:٣٢) كما يتكلّم عنه القدّيس يوحنّا في الرؤيا (رؤ ١٩:٧ – ٩). موضوع العرس لم يكن عرضي في الإنجيل الرّابع، إذ في عرس قانا أعطى الرّبّ يسوع آيته الأولى وأظهر مجده فآمن به تلاميذه (يو ٢:١١).

الأب سرجيوس بولكاكوف رأى في هذا النص أيضاً، إشارة إلى «نشيد السّابق»، وهو ثالث وآخر شهادة ليوحنّا المعمدان (الأولى في يو ١:١٥ والثانية ١:٢٧ – ٢٩)، وقد قال فيه:

«ليس هذا نشيد الأناشيد عن حب العروس لعريسها، بل هو نشيد صديقه. لا يوجد فيه تواضع ينتقص، بل تواضع منتصر بفرح الظفر، إنه ظفر السّابق».

يفسّر الأب سرجيوس بولكاكوف أن صديق العريس هو أقرب شخص للعريس، وهو الذي وضع فيه هذا الأخير كلّ ثقته. إنّه صديق العريس الذي يفتّش ويجد عروسه ويحضرها ويقدّمها للعريس. هكذا، يظهر السّابق في الإنجيل الرّابع باعتباره الصدّيق الحميم للمخلّص، الذي يجهز البشريّة لقبول الخلاص ويقدّمها للمخلّص. عليه تكون الكنيسة قد قُدّمت عروساً للمسيح–العريس بواسطة دور (كرازة) السّابق.

الخاتمة

هذه القراءة السّريعة للنظم الموسيقي البيزنطي في أعياد السّابق أتاحت لنا الفرصة أن نلاحظ الموقع المهم الذي يحتلّه «أعظم مواليد النساء» في التقليد الليتورجيّ للكنيسة الأرثوذكسيّة. لقد جعلنا نقدِّر القرابة القائمة بين النظم الموسيقي والنصوص الإنجيليّة، التي استقى منها بوفرة آباء النظم الموسيقي وكلّ التقليد الذي اتبّعوه. ولا عجب إذاً أن يكون السّابق ورفاته موضوع إكرام حار في بيزنطيّة وكل البلدان المسيحيّة ذات التقليد البيزنطي.

+ + +

عن موقع عائلة الثّالوث القدّوس
دير القدّيس يوحنّا المعمدان والقدّيس سلوان الآثوسي
دوما - لبنان
http://www.holytrinityfamily.org

الصّلاة الربيّة

من كتاب «صلّوا هذه الصّلاة، قراءة في الصّلاة الربيّة»
للأب إيليّا متري

في الصّلاة الرّبّيّة

تعتبر «الصّلاة الرّبّيّة» (أبانا الّذي في السّموات ليتقدّس اسمُك...)، كما أسماها، لأوّل مرّة، القدّيس كبريانوس القرطاجيّ (+٢٥٨)، من أكثر الصّلوات الّتي يتلوها مسيحيّو العالم شهرةً، وذلك أنّها «الصّلاة» الّتي علّمها يسوع للكنيسة، وأرادها نموذجاً لكلّ صلاة.

منذ البدء أبدى آباء الكنيسة اهتماماً بالغاً بهذه الصّلاة، فتركوا تفسيرات كثيرة عنها، وعملوا على إدراجها في الأسرار المقدّسة والصّلوات الكنسيّة، وهي موجودة اليوم في جميع صلواتنا الجماعيّة والفرديّة.

أوّل مَنْ شَرَحَ الصّلاة الرّبّيّة وأدخلها في ترتيب سرّ المعموديّة هو العلاّمة ترتليانوس (الّذي اعتبرها «مختصر الإنجيل كلّه») ثمّ تبعه، في مسعاه، القدّيس كبريانوس الّذي كان يطلب من الموعوظين (وهم وثنيّون ويهود آمنوا بالرّبّ يسوع وكانوا يستعدّون لتقبّل سرّ المعموديّة) حِفظَها غيباً وتِلاوتَها علناً أمام الكنيسة أثناء قبولهم المعموديّة، حذا حذوَ ترتليانوس وكبريانوس معظمُ آباء القرن الرّابع فأدرجوا هذه الصّلاة في خدمة القدّاس الإلهيّ، ففي كنيسة أورشليم، مثلاً، كان القدّيس كيرلّس يشرحها أثناء الخدمة الإلهيّة، ويطلب من المؤمنين تلاوتَها قبل أن يتقدّموا من المناولة، وهذا ما يفعله المؤمنون اليوم.

يدّعي بعض علماء التّفسير أنّ ثمّة قرابة بين الصّلاة الرّبّيّة والصّلوات اليهوديّة في زمن يسوع من حيث المبنى والمعنى، غير أنّ هذا الادّعاء ليس واقعياً، لأنّ الصّلاة الرّبّيّة «لا تتمحور حول خبرة إسرائيل ولا حول الشّهادة الّتي عليه أن يؤدّيها لله...»

ولعلّ أبرز ما يميّزها عن كلّ الصّلوات الّتي قبلها هو تلك الحرّيّة الّتي تدفع المؤمنين إلى أن ينادوا الله الّذي لا يُدنى منه: «أبانا» ولا يَخفى أنّ ترتيب الطّلبات فيها ابتكاريّ وله معانيه الجديدة، وهو يميّز تعليم يسوع عن غيره، ونرى أنّه به يعلو على كلّ تعليم آخر ويتخطّاه.

الصّلاة الرّبّيّة – على الرّغم من صغرها – صلاة غنيّة بمعانيها، وقد وصلتنا عن يد الإنجيليّيْن متّى (٦: ٩-١٣) ولوقا (١١: ٢-٤)، في صيغتَيْن تفترق الواحدة عن الأخرى، بأمور عدّة، ولعلّ هذه الفروقات في الصّيغتين تعود إلى الاستعمال اللّيتورجيّ في كنائس مختلفة. سعى العديد من المفسّرينَ إلى معرفة أيّ من الصّيغتين هو الأقدم فتشعّبت آراؤهم واختلفت... لن ندخل في هذه العجالة، في مقارنة نصّيّ متّى ولوقا لنعرف أيّاً منهما هو الأقدم، يكفي أن نؤكّد أنّ المسيحيّينَ الأوائل اقتنعوا بأنّ الأمانة لفكر يسوع أهمُّ، بما لا يُقاس، من ترداد كلماته ترداداً حرفيّاً، ولاينفعنا، في هذا المجال، أن نتبع القاعدة الأصعب الّتي يقول بها المفسّرون، فيما يقارنون بين النّصوص، لمعرفة الكلمات الّتي خرجت من فم يسوع حرفيّاً أو الوصول إلى رواية حدث كما أتّمه. فإذا فضّلنا الصّيغة الأقصر لهذه الصّلاة، وهي صيغة لوقا (الّتي يرى بعضٌ أنّها الأصل)، نهمل ما عند متّى من ميّزات خاصّة (إيقاع متناسق، عبارات ساميّة...)، قد لا تناسب العقليّة اليونانيّة الّتي خاطبها لوقا، وربّما دفعته إلى تقصيرها وتكييفها.

اعتاد بعض المعلّمين القدماء على تقسيم الصّلاة الرّبّيّة إلى قسمين، يقول العلاّمة ترتليانوس: «ما أروع الحكمة الإلهيّة الّتي رتّبت هذه الصّلاة فبعد أمور السّماء (وهي الطّلبات الثّلاث

الأولى) تأتي أمور الأرض وحاجاتها» (ويقصد بذلك الطّلبات الأخرى) غير أنّ هذا التّقسيم - كما هو هنا - يجب أن نفهمه بتوافقه ومجمل فكر يسوع الّذي يدعو إلى عيش الآخرة أوّلاً والعمل على تبيانها «الآن وهنا» (يقول الرّبّ: «اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه...») وذلك أنّ الّذي يُرضي الله ليس أن نقدّس اسمه بإخلاصنا له فقط، ولكن بعملنا على خلاص البشر أيضاً (وهذا عينه من دوافع الإخلاص لله). فلا يجوز أن نفهم، مثلاً، أنّ الطّلبة الثّانية في الصّلاة الرّبّيّة: «ليأتِ ملكوتُك»، تختصّ فقط برغبة المؤمنين في حلول الملكوت الآتي، لأنّ أولاد الله الحقيقيّين لا يعترفون بمجد الله الأخير فحسب، أو يتوقونَ فقط إلى اليوم الّذي يملك فيه على كلّ أحبائه «ويُخضع كلّ أعدائه تحت قدميه»، ولكنّها أيضاً (تختصّ) بترجمة إيمانهم ورجائهم في هذا الدّهر، وذلك لأنّ مُلك الله - بالنّسبة إليهم - هو في خلاص البشر الّذي يبتدئ هنا في هذا العالم. وهذا يمنعنا منعاً باتّاً من التّمييز بين ما هو عموديّ (إرضاء الله) وبين ما هو أفقيّ (الاهتمام بالنّاس وحاجاتهم)، إذ كيف نهتمّ بالله إن لم نلقَ أبناءه كإخوة (انظر رسالة الإنجيليّ يوحنّا الأولى)؟ فَالله هو أبونا جميعاً، وفي وعينا لِبُنوّتنا له يجتمع شوقُنا الدّائم إلى حلول ملكوته ويقوى عملنا على تقديس العالم. وفي السّياق عينه يجب أن نفهم أنّ طلبة «الخبز الجوهريّ» لايتعلّق معناها بِالخبز المادّيّ الّذي نأكله في هذا العالم فحسب، ولكن أيضاً الخبز السّماويّ الّذي يعطيه الرّبّ للّذين سيُجلسهم على مائدته الأخيرة «مع إبراهيم وإسحق ويعقوب»، وهي تحثّنا تالياً على أن نطلب دائماً جسد الرّبّ الّذي نتناوله في القدّاس الإلهيّ.

الصّلاة الرّبّيّة هي صلاة الكنيسة الّتي أدركت أنّ المسافة بين الأرض والسّماء قد زالت، وهي صلاة الغنج الأكبر الّذي يهبه الرّوح القدس للّذين يعملون بمشيئة الآب في كلّ زمان ومكان.

أبانا

كنّا قد قدّمنا الكلام على الصّلاة الرّبّيّة في مقالة آنفة، وسنعمل، بإذن الله، على شرحها في مقالات عدّة. نبدأها اليوم بالتّأمل في هذا النّداء الحميم والغنيّ بمعانيه الّذي يفتتح الرّبّ به الصّلاة، وأعني به: «أبانا».

ولا نريد، في هذا المقال، أن نخرج عن الخطّ الّذي رسمه التّراث الأرثوذكسيّ، وأعني تأكيده القاطع أنّ الله هو فوق كلّ كلام وأبعد من أن تحبسه تحديدات ومفاهيم. «فَإلهٌ يمكن إدراكه ليس هو الله». وهذا يعني أنّ إلهاً نزعم أنّنا نقدر على فهمه، عقليّاً، بصورة كاملة، هو إله من اختراعنا، وليس هو الإله الحقيقيّ. غير أنّ هذا لم يمنع تراثنا من أن يؤكّد أيضاً، وفي السّياق عينه، أنّ الله الّذي لا يسعه مكان أو زمان ولا يمكن وصفه أو رؤية جوهره، هو إله شخصيّ، ومعرفتنا له تحدّدها كشوفاته في التّاريخ، وتالياً إيماننا به ومحبّتنا إيّاه. وذلك أنّ الإيمان ليس هو، في جوهره، حقيقة منطقيّة، بل علاقة شخصيّة وتسليم كامل لمَن تنازل وبذل دمه حبّاً بنا.

سنحاول، إذًا، بنعمة الله، انطلاقاً من تنازل يسوع ابن الله الوحيد الّذي سمح لنا بأن ننادي أباه: «أبانا»، أن نكتشف - في زمن شيوع اليتم وزوغان الضّمير عن المحجّة - عمق هذا النّداء الّذي يحمل كلّ حقيقة الله، ويبيّن، تالياً، أسس علاقة البشر بعضهم ببعض.

والواقع أنّ بعض الآباء القدّيسين، ومنهم: مكسيموس المعترف وديونيسيوس الأريوباجي ويوحنّا الذّهبيّ الفم...، أطلقوا لفظة «أبانا» على الثّالوث القدّوس. فَالنّداء، في مداه الأوّل، يدلّ، آبائيّاً، على العلاقة الّتي تربط الله المثلّث الأقانيم، وهو، تالياً، يُدخلنا عمق معرفته. وليس هذا فقط، وذلك أنّ نداء «أبانا» لا يضعنا في خطّ عموديّ حصراً، ولكن أفقيّ أيضاً، أي إنّه

لا يدلّنا على هذه العلاقة الثّالوثيّة أو يطلب منّا اعترافاً بأنّ الله هو أبو يسوع أزليّاً فحسب، بل أيضاً على كون الله هو أبو جميع البشر، وأنّ ارتباط البشر بعضهم ببعض هو، بيسوع المسيح، ارتباطٌ أخويّ. يقول ثيودورس أسقف مصّيصة في مقدّمة شرحه الصّلاة الرّبّيّة: «لذلك عليكم أن تقدّموا ما يجب لا للآب فقط، بل عليكم أيضاً أن تسالموا بعضكم بعضاً أنتم الإخوة، وجميعكم في قبضة يد أب واحد». ويؤكّد القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم، في تعليقه على هذا النّداء، هذا الكلام، بقوله: «وعلاوةً على ذلك، يعلّمنا (يسوع في الصّلاة الرّبّيّة) أن نجعل صلاتنا مشتركة، لمصلحة إخوتنا أيضاً. إذ لا يقول (المؤمن): «أبي الّذي في السّموات»، بل «أبانا» مقدّماً تضرّعاته من أجل الجسد المشترك، غير ناظر قطّ إلى مصلحته الخاصّة، بل إلى مصلحة قريبه في كلّ مكان».

يختصر هذان البعدان (العموديّ والأفقيّ) كلّ الحياة المسيحيّة ومتطلّباتها. فالله الّذي يطلب «قلب» الإنسان يرفض رفضاً قاطعاً أن يختزل المسيحيُّ البشرَ إخوته بالعِرق أو الطّبقة أو الجنس أو الدّين أو المذهب أو الثّقافة، أو أن يميّز بين البارّ والخاطئ (برأيه طبعاً)، وذلك لأنّ كلّ إنسان، هو «صورة الله»، والله تالياً أعطى جميع البشر، بابنه يسوع، نعمة البنوّة، أي وهبهم أن يصيروا «أبناء الله». ولعلّ أعمق ما يذكّرنا به نداء «أبانا»، في سياق هذين البعدين، هو أنّ كلّ صلاة، في عمقها ومداها، هي صلاة جماعيّة، فالّذي يصلّي وحده في صومعته أو غرفته... هو يصلّي إلى الإله أب الجميع، وتالياً كعضو في عائلته (الكنيسة)، ويريده الرّبّ أن يعي ارتباطه بإخوته وبكلّ إنسان في العالم، وأن يفعّل التزامه فلا يكون بعيداً أو متفرّجاً. هذا ما يدلّنا عليه نداء «أبانا»، وبعد.

لا يريدنا يسوع، فيما نخاطب الله، أن نكلّمه بمنطق العهد القديم الّذي لم يخلُ من الاعتراف بحنان الله على أولاده (انظر: خروج ٤: ٢٢؛ تثنية ٣٢: ٦؛ إشعيا ٦٣: ٨...، حكمة ٣ :٩ و ٥: ٥)، وذلك أنّ العهد الأوّل الّذي أعطي في سيناء يلد العبوديّة (غلاطية ٤: ٢٤)، وجميع الّذين أُخضعوا لشريعة النّاموس كانوا عبيداً (أفسس ٢ :١٥)، بل أن نعرف أو أن نقبل أن يقودنا روح الله إلى معرفة كوننا «أبناء الله» المدلّلين، وأن ننادي الله بالطّريقة عينها الّتي كان يلفظها الأطفال الآراميّون فيما كانوا يتدلّلون على آبائهم: «أبّا» (أو كما نقول بلغتنا: «بابا»). لقد نقلنا يسوع الّذي يحقّ له وحده أن يخاطب أباه ببساطة كلّيّة وألفة حميمة (متّى ١١: ٢٥، ٢٦: ٣٩؛ مرقس ١٤ :٣٦، ١٥: ٣٤؛ لوقا ١٠: ٢١، ٢٣: ٤٦ وما يوازيها)، بنعمة روحه القدّوس، من حالة الخوف والبعد والجهل، وقرّبنا من الله أبيه، وأعطانا أن نناديه بجرأة الأطفال (بابا) من دون أن تطالنا دينونة (كما تدعونا خدمة القدّاس الإلهيّ). وهذا ما أكّده أحد آباء الكنيسة في القرن الخامس تعليقاً على ما قاله الرّسول بولس في رسالته إلى كنيسة رومية، وهو: لأنّكم «لم تتلقّوا روح عبوديّة لتعودوا إلى الخوف، بل روح تبنٍّ به ننادي: أبّا، يا أبت! وهذا الرّوح نفسه يشهد مع أرواحنا بأنّنا أبناء الله» (انظر ٨: ١٤-١٦)، إذ قال: «حين أضاف الرّسول لفظة «أبّا» علّمنا معنى الثّقة الّتي يتّصف بها أولئك الّذين اعتادوا أن ينادوا الله هكذا. وفي الواقع، الأولاد وحدهم يتعاملون مع آبائهم بحرّيّة كبيرة...، فَيستخدمون غالباً هذه اللّفظة في التّحدّث إليهم».

عندما نصلّي: «أبانا»، يجب أن نفكّر في وحدة الحياة الّتي لنا مع الله في المسيح يسوع بِالرّوح القدس، وأن نفكّر تالياً في أنّ هذا النّداء لا يكون نداءنا حقّاً ما لم نسمح للرّوح الّذي حلّ في قلوبنا بأن يفيض فينا المحبّة الحقّ للبشر جميعاً، ونقبل أن نكون أداة الشّهادة الّتي ينيرها هو (أي الرّوح) ويقودها في العالم (رومية ٥: ٥).

يتبع...

الفصح ... فداء المسيح لخلاص البشريّة

فؤاد صليبا الصّائغ

الفصحُ وافى وَالمسيحُ يُعلّمُ ... وَيقولُ إنّي قدْ أتَيْتُ أتَمّمُ
لِلكونِ أرسَلَني الإلهُ مُبشّراً ... لا دينَ أسبقَ منْ مَجيئيَ أهدِمُ
في ليلةٍ وعلى الْعشاءِ تَجمعّوا ... رأسَ التّلامذةِ الْكرامَ مُعلّمُ
مِنْ بينِهِمْ مَن كانَ يَعشقُ فضّةً ... وَبِها يسوعُ إلى الْيهودِ يُسلّمُ
قبلاتُ غشٍّ لا تُخبّئُ نيّةً ... فَالرّبُّ ما يُخفي يَهوذا يَعلمُ
بيلاطسُ الْبنطيُّ حاكمُ عَصرِهِ ... مَلكُ الزّمامِ وَفي الرّعيّةِ يَحكمُ
ما كانَ يَعدلُ في الأنامِ بِحكمِهِ ... إنْ قالَ في أمرٍ يَجورُ وَيَظلِمُ
الشّعبُ جاءهُ مُستشيطاً غاضباً ... شخصُ الْمسيحِ بِلا ضميرٍ يُجرّمُ
صدَرَ الْقرارُ تحيّزاً وتجنّياً ... برابّاسُ بُرّئَ وَالمخلّصُ يُعدَمُ
حملَ الصّليبَ بِدربِ آلامٍ سرى ... لمْ يُثنِهِ في ذي السّبيلِ تَجشّمُ
بِمكانِ جُلجلةٍ تَوقّفَ سَيرُهُ ... حيثُ الْمصيرُ إذا تحقّقَ يُؤلمُ
خَتناً على خشبِ الصّليبِ لِبَيعَةٍ ... قدْ علّقوهُ وَمنْهُ وجهٌ يَبسمُ
ملكُ الْيهودِ من الجميعِ تَحيّةً ... كتبوا وَفيما يَكتبوهُ تَهكّمُ
إكليلُ شوكٍ قدْ أحاطَ بِهامةٍ ... وَمنَ الْحرابِ بِجنبِهِ يَجري دمُ
ذهبوا بعيداً في مَذلّةِ سيّدٍ ... إذْ تمّ صَلبُهُ مَع لصوصٍ تَأثِمُ
طلبَ الشّرابَ فَجاءَ منْهُ قليلُهُ ... إسفنجُ قدْ مَلأَ الخلايا علقمُ

هوَ قالَ:

يا أبَتاهُ مغفرةً لَهُمْ ... لا يَدري ما بِالْغيرِ يَفعلُ مُجرمُ
الأمّ جَرّحَها عذابُ حبيبِها ... وَبكاهُ تلميذٌ أحبّ وَمريمُ
أوصى بِهِمْ خَيراً وَأنهى قولَهُ ... لأبيهِ روحُهُ في السّماءِ يُسلّمُ
نظرَ الْحضورُ بِلَوعةٍ وَتَألّمٍ ... وَالْعينُ في هولِ الْفجيعةِ تُسهمُ
بكتِ الطّبيعةُ وَالأنامُ لِصلبِهِ ... فتُحَتْ على كلِّ العُتاةِ جَهنّمُ

- الفهرست -

حزناً تصدّعَ هيكلٌ وَحجابُهُ ... شمسُ النّهارِ على الْبرايا تُظلِمُ
نيقوديموس مع يوسف الرّامي هُما ... مَنْ جهّزا كفناً وَطيباً يَلزمُ
يومانِ قدْ مَضيا وَيَبدأُ ثالثٌ ... شدّ الْجميعَ إلى المكانِ ترّحمُ
فزِعوا لِرؤيتِهِمْ ضريحَهُ خالياً ... وَتَدحرج الْحجرِ الّذي بِهِ يُختمُ
نزلَ الْملاكُ إلى الْجموعِ مُخبّراً ... لأبيهِ مَنْ بِالأمسِ ماتَ يُيَمّمُ
الحال شُبّهَ مثلَ حبّةِ حنطةٍ ... فيها الْحياةُ بِأيّ شكلٍ تُعدمُ
في الأرضِ يَنمو من مياهٍ جذرُها ... وَالسّاقُ تَعلو وَالْغُصونُ وَبُرعُمُ
أوْ كَالْجنينِ نَما بِداخلِ بيضةٍ ... بِمشيئةِ اللّهِ الْغلافَ سَيقسِمُ
ذُهِلَ التّلاميذُ الأفاضلُ عندما ... ظهرَ الْمسيحُ كأن كلٌّ يَحلمُ
لكنّ توما لمْ يُصدِّقْ قولَهُمْ ... إذْ غابَ عنْهُمْ مَنْ يُسمّى التّوأمُ
صُلبَ الْمسيحُ لِكي يُخلّصَ شعبَهُ ... وَمِنَ الْخطايا سوفَ يُعتَقُ آدمُ
حقٌّ علَيْنا أنْ نُحبَّ صليبَنا ... فادي الْجميعِ إلى الْحياةِ نُعظّمُ
إنّا سَنبقى مُؤمنينَ بِدينِنا ... لِيَدومَ مجدٌ فيهِ نحنُ وَنَسْلَمُ
وَنرى الْمحبّةَ كيفَ عمّتْ في الْورى ... تَحيا بِها كلُّ الْقلوبِ وَتَنْفعَمُ
دينُ الإلهِ وَلِلْبرايا نورُها ... درب الْخلاصِ إذا مشَتْ بِهِ تَنعمُ
ها نحنُ نَرقبُ لِلإلهِ مَجيئَهُ ... فينا يَدينُ الْمُستحقّ وَيَرحمُ
قامَ الْمسيحُ وَمَنْ تَوارى في الثّرى ... قهرَ الْجحيمَ وَمُرّ موتٍ يَهزمُ
الْيومُ عيدٌ مِنْ طيوبٍ نَسمُهُ ... فرحُ الْبسيطةِ وَالسّماءِ مُحتّمُ
تَبقى لدَيْنا الذّكرياتُ عزيزةٌ ... عاشَتْ مَعَ الإيمانِ خيراً تُلهِمُ
مِنّا لِناصِرةِ الْمسيحِ تَحيّةً ... لِلقدسِ ثمّ لبيتِ لحمَ نُقدّمُ
الابنُ ابنُكِ يا فلسطينَ الّذي ... في ذكرِهِ أغلى صليبٍ نَرسمُ

سرّ مسحة المرضى

من التعليم الأرثوذكسي

سرّ مسحة المرضى هو سرّ مقدّس من أسرار الكنيسة السّبعة به ينال المريض المؤمن شفاء الأمراض النّفسيّة والجسديّة إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدّس ويستمدّ له نعمة الشّفاء من اللّه.

ويُسمّى سرّ القنديل؛ لأنّ المسيحيّين الأوائل كانوا يضعون الزّيت فى القنديل يخرج منه سبعة قناديل تُضاء كلّ واحدة منها فى أوّل كلّ صلاة، ومازالت هذه العادة جارية، ولكنّهم يستبدلون القنديل بطبق زيت وبه سبعة قناديل من القطن تضاء واحدة فى بداية كلّ صلاة من صلوات القنديل السّبع، وهذا العدد يشير إلى سبعة أرواح اللّه المذكورة فى سفر الرّؤيا (رؤ ٣ : ١)

لأنّ روح اللّه يحلّ ويقدّس الزّيت لشفاء الّذين يدهنون به، ويستحسن أن تكون القناديل السّبع موضوعة على شكل صليب.

أسّس السّيّد المسيح له المجد، هذا السّرّ عندما قال لتلاميذه: «اِشفوا مرضى طَهّروا برصاً... (متّى ١٠ : ٨) وقوله «وأيّة مدينة دخلتموها وقبلوكم .. فَاشفوا المرضى الّذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت السّموات» (لو ١٠: ٨،٩)

وقد مارسه الآباء الرّسل بناءً على أوامر سيّدهم فيقول الكتاب «فَخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا»، «وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مر٦:١٢،١٣)

نصح القدّيس يعقوب الرّسول المؤمنين بممارسة هذا السّرّ عند مرضهم طلباً للشّفاء من اللّه، «أمريض أحد بينكم فليَدعُ قسوس الكنيسة فَيصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرّبّ. وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرّبّ يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له» (يع ٥: ١٤،١٥).

لكي يستفيد المريض من سرّ مسحة المرضى يجب أن يعترف عند الكاهن قبل ممارسة السّرّ ويتناول من الأسرار المقدّسة بعد إتمام السّرّ. أي يمارس ثلاثة أسرار مقدّسة تساعد كلّها على الشّفاء الجسديّ والرّوحيّ.

أنسب وقت لعمل سرّ مسحة المرضى هو الصّباح الباكر حيث يكون الكلّ صائماً؛ (الكاهن والمريض والحاضرون) وإن كان المريض حسب ظروفه الصّحيّة.

يجب أن يصلّي الكاهن الصّلوات السّبعة كاملة ولا يختصر منها شيئاً فلا يليق أن يخطئ بتجاوز حكمة ترتيب الآباء لهذا السّرّ بإرشاد الرّوح القدس كما هو مُدوّن فى كتب الكنيسة.

ترتيب صلاة مسحة المرضى قديم جدّاً في الكنيسة، فيذكر التّاريخ الكنسيّ أنّ القدّيس أبيفانيوس (أسقف قبرص المشهور) هو الّذى رتّب هذه الصّلوات بمعنى أنّه كتبها وثبّتها وأضاف اليها ما أضاف، ويشهد القدّيس باسيلوس أنّ صلاة القنديل كانت معروفة فى الكنيسة منذ القديم.

يجب أن يُحافظ على زيت سرّ القنديل كزيت مقدّس حَلّ عليه الرّوح القدس، ولا يُترَك في الطّبق لإهمال أهل البيت فَينسكب على الأرض، بل يوضَع فى الزّجاجة الخاصّة به ويمسح الطّبق جيّداً بقطعة من القطن ويتأكّد من حرق قطن الفتايل ومسح الطّبق قبل خروجه من المنزل.

لماذا لا يشفى المريض أحياناً بسرّ مسحة المرضى؟

أحياناً لا يشفى المريض بمجرّد عمل سرّ مسحة المرضى له وأحياناً لا يشفى بتاتاً بل يموت، وأحياناً يتأخّر الشّفاء مدّة طويلة وذلك لأسباب منها:

١- عدم إيمان المريض مثل أهل النّاصرة الّذين لم يصنع يسوع بينهم قوات لعدم إيمانهم.

٢- عدم استحقاقه للشّفاء وذلك بسبب توغّله فى الشّرّ وعدم رغبته فى التّوبة والرّجوع إلى اللّه.

٣- لأنّ المرض قد يكون للموت، والموت هو الشّفاء العظيم والخلاص من كلّ الآلام الجسديّة.

- الفهرست -

٤- قد يكون المرض للتّأديب يرفعه اللّه حينما يرى أنّه أدّى مهمّته مثل مرض أيّوب.

٥- أحياناً يستمرّ المرض فى الإنسان ولا يشفى منه وذلك لحكمة إلهيّة لا نفهمها ولاندركها. مثل مرض بولس الرّسول الّذى ظلّ ملازماً له، ولمّا صلّى من أجل الشّفاء رفض اللّه.

يدهن أوّلاً المريض بالزّيت على هيئة صليب فى **جبهته وصدره ويديه**:

الجبهة: لأنّ الرّأس مركز الحواس والفكر.

الصّدر: لأنّ فيه القلب. يقول الحكيم: «فوق كلّ تحفظ احفظ قلبك لأنّ منه مخارج الحياة» (أم ٤: ٢٣)

اليدان: لأنّها أداة العمل.

على المريض أن يواظب على دهن نفسه بالزّيت سبعة أيّام متوالية، وهو مؤمن بقوّة اللّه وقوّة الصّلاة. وهذه المواظبة تظهر إيمانه بمفعول السّرّ وطاعته لطقس الكنيسة، والايمان والطّاعة من أهمّ أسباب الشّفاء، ويواظب المريض على الدّهن بالزّيت كما يواظب على تناول الأدوية في مواعيدها المحدّدة حسب إرشادات الطّبيب.

لا يُدهن من زيت مسحة المرضى أيّ إنسان غير مؤمن؛ لأنّه زيت سرّ مقدّس لايُعطى إلاّ للمعمّدين فقط، أمّا إذا طلب غيرُ المؤمن دهنه بالزّيت فيمكن إحضار زيت عادي ويرشم عليه الكاهن الرّشومات الثّلاثة ثمّ أفشين المرضى ويدهن به المريض.

لا يجب دهن أيّ أحد بالزّيت بعد التّناول مباشرة، لأنّ التّناول هو كمال الأسرار الّذي به تتمّ كلّ الأسرار وتختم به.

+ + +

عن موقع

www.elmalak.ahlamontada.com

الكهنة والعلمانيّون في الكنيسة الأرثوذكسيّة

الأب ألكسندر شميمن
تعريب الأب أنطوان ملكي

إعداد: الأرشمندريت إفرام الطّعمي

مسألة علاقة الكهنة والعلمانيّين مسألةٌ ملحّة؛ لأنّ انعدام الثّقة، والتّناقضات، وسوء الفهم، وخيبات الأمل هي أمور تعوّق نموّ الكنيسة غالباً، كما أنّها مربكة؛ لأنّه ليس هناك أيّ بحث بنّاء وصادق، وأيّ محاولة حقيقيّة لفهم هذه المسألة على ضوء إيماننا وعلى أساس حالتنا الحقيقيّة. بالواقع، إنّه تناقض ظاهريّ، لأنّ الجانبين الإكليريكيّ والعلمانيّ يقدّمان الشّكوى نفسها: فكِلاهما -الكهنة والعلمانيّون - يعلنان أنّهما حُرِما من حقوقهما الخاصّة، وأنّ مسؤوليّاتهما وإمكانيّاتهما للعمل محدودة. وإذا ما تكلّم الكاهن أحياناً عن الحكّام العلمانيّين «الطّغاة»، ندّد العلمانيّون بـ «رئاسة» الكاهن.

مَن هو صاحب الحقّ ومَن هو المخطئ؟ وهل لنا أن نستمرّ في هذه «الحرب المدنيّة» المحبطة في وقتٍ نحن بحاجة فيه إلى الوحدة وإلى حشد كلّيّ لجميع مواردنا حتّى نصمد أمام تحدّي العالم المعاصر.

ليس القصد، بالرّغم من أنّ كاتب هذا المقال كاهنٌ، الانحياز إلى أحد الجانبين، إذ ليس هناك من جهات يُنحاز لها، إنّما هناك سوء فهم يجب أن يتبدّد. وبالتّأكيد، يوجد جذور عميقة لسوء الفهم هذا. فهذه الحالة لا يوجد لها مثيل، ومع هذا يجب أن نحياها كأرثوذكس مع أنّها لا تتضِّح بمجرد الاستشهادات من القوانين والنّصوص القديمة. ومع ذلك، يبقى الأمر سوء تفاهم وهذا ما يجب أن يفهمه جميع النّاس ذوي الإيمان الصّحيح. المطلوب فقط هو أن نضع بصدق وبإخلاص مصالح كنيستنا فوق «ما نحبّ» و «ما لا نحبّ» شخصيّاً، وأن نتعدّى رباطاتنا ونتنشّق هواءً نقيّاً من الإيمان الرّائع والمجيد الّذي هو إيماننا.

توضيح بعض التّعابير المستخدمة:

- الفهرست -

معنى «العلمانيّ»

إنّ كلمات)عامي، علمانيّين، علمانيّ(تأتي من الكلمة اليونانيّة laos الّتي تعني الشّعب. "Laikos"، العلمانيّ هو شخص ينتمي إلى الشّعب، أي أنّه عضو في جماعة متكاملة ومنظّمة. بكلام آخر، «العلمانيّ»، ليست تعبيراً سلبيّاً، بل هي تعبير إيجابيّ وسامٍ. إنّها تتضمّن مُثلاً عليا من العضويّة الكاملة والمسؤولة والعاملة. وما يجعل استخدام المسيحيّين لهذا التّعبير أكثر إيجابيّة هو معناه العميق، فالكلمة تأتي من التّرجمة اليونانيّة للعهد القديم حيث كلمة Laos تنطبق عادة على شعب اللّه المقدّس من اللّه نفسِه. مفهوم «شعب اللّه» رئيسٌ في الكتاب المقدّس. فالكتاب المقدّس يشهد أنّ اللّه قد اختار شعباً واحداً من بين العديد حتّى يكون أداته الخاصّة في التّاريخ، ويتمّم قصده ويهيّئ، فوق كلّ شيء آخر، لمجيء المسيح مخلّص العالم. لقد دخل اللّه مع هذا الشّعب الواحد في «ميثاق»، في عهد أو اتّفاق من الانتماء المتبادل. فالعهد القديم، من ناحية ثانية، ليس سوى تحضير للعهد الجديد. وفي المسيح، امتدّت امتيازات «شعب اللّه» واختياره إلى جميع الّذين قبلوه وآمنوا به وهم على استعداد أن يقبلوه كإله ومخلّص. هكذا، الكنيسة أو جماعة المؤمنين بالمسيح، أصبحت شعب اللّه الحقيقيّ (Laos) وكلّ مسيحيّ (Laikos) أصبح عضواً في شعب اللّه.

العلمانيّ إذن، هو الشّخص الذّي يشترك في الاختيار الإلهيّ ويحصل من اللّه على هبة خاصّة وامتياز العضويّة. إنّها عمل إيجابيّ وسامٍ. وبحسب تعليمنا الأرثوذكسيّ أنّ كلّ مسيحيّ، أكان أسقفاً، أو كاهناً، أو شمّاساً أو مجرّد عضوٍ في الكنيسة هو علمانيّ أوّلاً وقبل أيّ شيء آخر، لأنّ كلمة «علمانيّ» ليست تعبيراً سلبيّاً أو جزئيّاً بل هي تعبير يشمل الكلّ مع مهمّتهم المشتركة. قبل أن نكون أيّ شيء محدّد. نحن جميعنا علمانيّون لأنّ الكنيسة اختارها المسيح نفسه وأسّسها من العلمانيّين – الشّعب، العائلة، الجماعة–.

العلمانيّ مُكرّس

لقد اعتدنا الاعتقاد بأنّ التّكريس هو بالتّحديد علامة مميّزة للإكليروس. فهُم المكرّسون أمّا العلمانيّون فهم المسيحيّون غير المكرّسين، لكنّ وجود سرّيْنِ للدّخول في الكنيسة، يوضّح هذا الكلام أكثر. لأنّه إذا كانت المعموديّة تجدّد فينا طبيعتنا البشريّة الحقيقيّة الّتي أُظلمت من جرّاء الخطيئة، فإنّ المسح بالميرون يمنحنا القوّة الإيجابيّة والنّعمة كي نصير مسيحيّين، ونتصرّف كمسيحيّين، ونبني معاً كنيسة اللّه ونكون مشاركين مسؤولين في حياتها. ففي إقامة هذا السّرّ نصلّي كي يصبح المعتَمِد الجديد: «عضواً مكرّماً في كنيسة اللّه، إناءً مقدّساً، ابناً للنّور، وارثاً لملكوت اللّه، حتّى إذا حَفِظَ موهبة روحك القدّوس وأنمى وديعة النّعمة نالَ جائزة الدّعوة العلويّة وانضمّ إلى عدد الأبكار المكتوبين في السّماء».

القدّيس بولس يدعو جميع المسيحيّين المعتمِدين «رعيّةً مع القدّيسين وأهل بيت اللّه» (أفسس ٢:١٩). والمسيح هو نفسه يقول «فلستم بعد غرباء ونزلاء بل رعيّة مع القدّيسين... الّذي فيه كلّ البناء مركّباً معاً ينمو هيكلاً مقدّساً في الرّبّ الّذي فيه أنتم أيضاً مبنيّون معاً مسكناً للّه في الرّوح».

العلمانيّ في اللّيتورجيا

نحن نفكّر في العبادة كنطاق للنّشاط الإكليريكيّ على وجه التّخصيص. فالكاهن يحتفل والعلمانيّون يحضرون. واحدٌ فعّال والآخر غير فعّال. بهذا نحن نرتكب خطأ جدّيّاً آخرَ. إنّ التّعبير المسيحيّ للعبادة هو «اللّيتورجيا» الّتي تعني بالتّحديد عملاً متّحداً، مشتركاً، شاملاً الكلّ، فيه جميعُ الحاضرين مشاركون فعّالون.

في الكنيسة الأرثوذكسيّة، كلّ الصّلوات مكتوبة بصيغة الجمع

«نحن»؛ (نُقدّم، نصلّي، نشكر، نعبد، ندخل، نصعد، نتَقبّل). إنّ العلمانّي هو، بطريقة مباشرة جدّاً، المحتفل مع الكاهن الّذي يرفع صلوات الكنيسة إلى اللّه ممثّلاً جميع الشّعب ومتكلّماً بالنّيابة عنهم. كلمة «آمين» الّتي نحن معتادون عليها - حتّى إنّنا بالحقيقة لا نوليها اهتماماً- هي مثالٌ على هذا الاشتراك في الاحتفال. ولكن بالرّغم من ذلك، إنّها كلمة فاصلة. ليس هناك صلاة أو تقدمة أو بركة تُعطى في الكنيسة من دون أن تُصَدّق بالآمين الّتي تعني القبول والموافقة والاشتراك. أن أقول «آمين» لأيّ شيء يعني أنّني أتبنّاه وأقبله... وإنّ «آمين» هي في الواقع كلمة العلمانيّين في الكنيسة وتعبّر عن عملهم كشعب اللّه الّذي يقبل التّقدمة الإلهيّة ويصدّقها بموافقته بحريّة وبفرح. ليس هناك بالحقيقة خدمة أو ليتورجيا من دون «آمين» الّذين كُرِّسوا لخدمة اللّه كجماعة، ككنيسة.

وهكذا، إذا أخذنا بعين الاعتبار أيّ خدمةٍ ليتورجيّةٍ، نرى أنّها تتبع أسلوب الحوار والتّعاون والاشتراك. التّعاون هو بين المُحتفِل (الكاهن) وجماعة المصلّين. إنّها في الواقع عمل مشترك («ليتورجيا») يتطلّب اشتراكاً كاملاً وضرورياً مسؤولاً من قِبَل كلّ فرد إذ من خلال هذا الاشتراك تُتمِمُّ الكنيسةُ، الّتي هي شعب اللّه، قصدَها وغايتَها.

مرتبة الكاهن

إنّ هذا المفهوم الأرثوذكسيّ للعلمانيّين يكشف المعنى الحقيقيّ للكاهن ولعمله. فالكاهن في الكنيسة الأرثوذكسيّة ليس فوق العلمانيّين ولا هو معارض لهم.

أوّلاً، والّذي يبدو غريباً، المعنى الجوهريّ لتعبير «كهنوت» قريب جدّاً لمعنى تعبير «علمانيّين». فتعبير «كهنوت» يأتي من كلمة «إكليروس» الّتي تعني «نصيب اللّه». «كهنوت» تعني ذلك الجزء من الجنس البشريّ الّذي ينتمي إلى اللّه والّذي قَبِلَ دعوته وكَرّسَ نفسَه له. في هذا المعنى المبدئيّ، قد وُصفت الكنيسة جمعاء بـ«الكهنوت» - أيّ نصيب اللّه أو ميراثه: «خلّص يا اللّه شعبك وبارك ميراثك». (Kleronomia أو كهنوتك - في اليونانيّة). إنّ الكنيسة كونها شعب اللّه (العلمانيّين) هي «نصيبه» و «ميراثه»(الإكليروس).

ولكنّ شيئاً فشيئاً اقتصرت عبارة «كهنوت» على هؤلاء الّذين يؤدّون وظيفة خاصّة داخل شعب اللّه، الّذين أُفرزوا بصورة خاصّة من أجل الخدمة بالنّيابة عن الجماعة قاطبة. لذلك ومنذ البدء، كان شعب اللّه متبلوراً ولكنّه بالمسيح نفسه أُعطي تركيباً ونظاماً وشكلاً مَرتبيّ: «فوضعَ اللّه أناساً في الكنيسة أوّلاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلّمين... ألعلّ الجميعَ رسل. ألعلّ الجميعَ أنبياء. ألعلّ الجميعَ معلّمون... وأمّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً...» (١ كورنثوس ١٢: ٢٨-٢٩)

لقد قامت الكنيسة تاريخيّاً على الرّسل الّذين اختارهم وعيّنهم المسيح نفسه. والرّسل بدورهم قاموا باختيار وتعيّين معاونيهم وخلفائهم، حتّى أنّه عبر مسيرة الكنيسة الكاملة المستمرّة، كان هناك دائماً استمراريّة لهذا التّعيين والاختيار الإلهيّ.

إذاً «الكهنوت» هو حاجة لصنع الكنيسة كما يجب أن تكون؛ شعب اللّه الخاصّ أو نصيبه.

إنّ عملهم الخاصّ هو أن يُخلّدوا داخل الكنيسة ما لا يقوم على البشر: كنعمة اللّه وتعاليمه ووصاياه وقوّته الخلاصيّة والشّفائيّة.

نحن نؤكّد أنّ هذه «من اللّه» لأنّ المعنى الكامل لتعبير «كهنوت» يكمن في تطابقه الكامل مع تعليم الكنيسة الموضوعيّ. إنّها ليست تعاليمهم وقوّتهم: إنّهم لا يملكون شيئاً سوى تلك الّتي حُفظَت وبقيت على مرّ الزّمن في الكنيسة من الرّسل حتّى زمننا والّتي تؤلّف جوهر الكنيسة. إنّ للكاهن القدرة على التّعليم

فقط بقدر ما يعلّم تقليد الكنيسة ويكون طائعاً له بالكلّيّة. ولديه القدرة على الاحتفال، ولكن من جديد، فقط بقدر ما يتمّم الكهنوت الأزليّ الّذي للمسيح نفسه. لأنّه ملزم، بشكل كلّيّ وخالص، بالحقيقة الّتي يمثّلها وهكذا لا يستطيع قطّ أن يتكلّم أو يأمر باسمه الخاصّ.

إنّ شعبنا في نقدهم للإكليروس يخشون «سلطة» الكاهن الزّائدة، لكنّهم في كثير من الأحيان لايدركون أنّ الكاهن لا يمثّل أيّ سلطة إكليريكيّة محدّدة غير «سلطة» الكنيسة الّتي هم أعضاؤها. فَواضح لكلّ امرئ أنّ الكنيسة وُجدت قبل أن نولد وهي دائماً موجودة كجسم من المعتقدات والنّظام واللّيتورجيا وغيره. إنّها لا تنتمي إلى أحد منّا حتّى نغيّرها أو نجعلها تتبع ذوقنا، لسبب بسيط هو أنّنا ننتمي إلى الكنيسة ولكنّ الكنيسة لا تنتمي إلينا. لقد قبلَنا الله برحمته داخل أهل بيته وجعلنا مستحقّين لجسده ودمه ولاستعلانه والشّركة معه. الإكليروس يمثّلون هذه الاستمراريّة، هذه الهويّة الّتي للكنيسة في المعتقدات والحياة والنّعمة في مختلف الأزمنة والأمكنة. إنّهم يعلّمون التّعليم الأزليّ نفسَه ويأتون إلينا بالمسيح الأزليّ عينِه ويعلنون عمل الله الخلاصيّ الأزليّ ذاتَه.

بدون هذا التّركيب المَراتبيّ تصبح الكنيسة منظّمةً بشريّةً محض، تعكس مختلفَ آراء البشر وأذواقَهم واختياراتِهم. إنّها تكَفّ عن كونها مؤسّسة إلهيّة وعطيّة الله لنا. حينئذ لن يستطيع العلمانيّون أن يكونوا علمانيّين أي شعب الله، ولن يكون هناك «آمين» تُقال، لأنّه حيث لا يوجد هبة من غير المستطاع أن يكون هناك قُبول.. إنّ سرّ الكهنوت المقدّس في الكنيسة هو ما يجعل الكنيسة بكلّيّتها وبالكامل Laos، أي العلمانيّين، شعب الله الحقيقيّ.

أساس الوحدة والتّعاون

إنّ الاستنتاج واضح: ليس هناك تعارض بين الإكليروس والعلمانيّين في الكنيسة. كلاهما ضروريّ. إنّ الكنيسة كوحدة كاملة هي من العلمانيّين وهي ميراثُ وكهنوتُ الله. ومن أجل أن يكون هذا، يجب أن يوجد داخل الكنيسة تباينٌ في الوظائف والرّسالات الّتي تكمّل بعضها بعضاً. لقد كُرّس الإكليروس من أجل جعل الكنيسة هبة الله، مكان حقيقته ونعمته وخلاصه، ورسالتها إلى البشر. إنّه عملهم المقدّس وإنّهم يتمّمونه فقط بالطّاعة التّامّة لله. وقد كُرِّس العلمانيّون لجعل الكنيسة مكان اقتبال تلك الهبة، و«آمين» الجنس البشريّ لله. إنّهم يستطيعون إتمام عملهم فقط بالطّاعة التّامّة لله. إنّ الطّاعة لله وللكنيسة تُرسّخ بحدّ ذاتها الانسجام بين الإكليروس والعلمانيّين وتجعلهم جسداً واحداً ينمو إلى ملء المسيح.

بعض الأخطاء الّتي يجب أن تُرفض

إنّ هذه الحقيقة الأرثوذكسيّة البسيطة قد طمستها غالباً بعضُ الآراء الّتي قبلناها اختياريّاً أو بغير اختيار من المحيط الّذي نعيش فيه.

١. تطبيق فكرة الدّيمقراطيّة على الكنيسة دون حرج. إنّ الدّيمقراطيّة هي المثال الأعظم والأنبل للمجتمع الإنسانيّ. ولكن في جوهرها الحقيقيّ، لا تطبّق على الكنيسة لسبب بسيط هو أنّ الكنيسة ليست مجرّد مجتمع بشريّ. الكنيسة ليست «مُساسة» من النّاس ولأجل النّاس، ولكن من الله ومن أجل كمال ملكوته. إنّ تركيبها وتعليمها وعبادتها وقيمها الأخلاقيّة لا تقوم على أيٍّ من تصويت الأكثريّة، لأنّ جميع هذه المبادئ معطاة ومحدّدة من الله وعلى كلٍّ من الإكليروس والعلمانيّين أن يقبلوها بطاعة واتّضاع.

٢. الفكرة الخاطئة عن الإكليروسيّة كسلطة مطلقة الّتي لأجلها لا يعطي الكاهن تفسيراً لسلوكه. في الحقيقة، يجب أن يكون

الكاهن في الكنيسة الأرثوذكسيّة على استعداد لشرح رأيه وقراره أو عرضه للأمور لكي يُثبت صحّتها وليس فقط «رسميّاً» بالإشارة إلى قانون أو قاعدة، ولكن روحيّاً كحقيقة مخلِّصة ووفقاً لمشيئة الله. لأنّه من جديد، إذا كنّا جميعاً -علمانيّون وإكليروس- خاضعينَ لله، فهذه الطّاعة طوعيّة وتتطلّب قبولنا الطّوعيّ: «لا أعود أسمّيكم عبيداً لأنّ العبد لا يعلم ما يعمل سيّده. لكن قد سمّيتكم أحبّاء لأنّي أعلَمْتكم بكلّ ما سمعته من أبي» (يوحنّا١٥:١٥). و«تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم» (يوحنّا٨:٣٢).

في الكنيسة الأرثوذكسيّة، حِفظُ الحقيقة وخيرُ الكنيسة والعملُ البشاريُّ والإحسانُ وغيرُها، هذه جميعها هي الهاجس المشترك للكنيسة قاطبة وجميع المسيحيّين هم- بالتّعاون- مسؤولون عن حياة الكنيسة. لا بالطّاعة العمياء ولا بالدّيمقراطيّة بل بالقبول الطّوعيّ والمبهِج لما هو حقيقيّ ونبيل وبنّاء ومجلِب للحبّ الإلهيّ والخلاص.

٣. الفكرة الخاطئة لملكيّة الكنيسة. «إنّها كنيستنا لأنّنا اشتريناها أو شيّدناها...». لا، إنّها ليست أبداً كنيستنا لأنّنا كرّسناها لله، أي أعطيناها له. الكنيسة ليست ملكاً للإكليروس أو العلمانيّين، كونها بالفعل ملكيّة مقدّسة لله نفسه. إنّه هو المالك الحقيقيّ. وإذا كنّا نستطيع أن نتّخذ قرارات تخصّ هذه الملكيّة، ويجب علينا هذا، يجب أن تنسجم هذه القرارات مع مشيئة الله. وهنا من جديد، إنّ على كلٍّ من الإكليروس والعلمانيّين أن يتحلّوا بالمبادرة والمَسؤوليّة لمعرفة مشيئة الله. الأمر ذاته ينطبق على مال الكنيسة وبيوتها وكلّ ممتلكاتها.

٤. مخصّصات الكاهن هي أيضاً فكرة خاطئة. «نحن ندفع له...». لا يمكن أن يُوفى الكاهن بدل عمله لأنّه لا أحد يستطيع أن يشتري النّعمة أو الخلاص. عمل الكاهن هو أن ينقل النّعمة وأن يعمل من أجل خلاص الإنسان. إنّ المال الّذي يتقاضاه في الكنيسة، أي من شعب الله وليس «منّا» (المستخدِمين والمُستخدَم)، قد خُصّص له من أجل جعله متفرّغاً لعمل الله. وهو أيضاً كونه عضواً في الكنيسة لا يستطيع أن يكون رجلاً «أجيراً» بل مشتركاً مسؤولاً في القرارات الّتي تخصّ الاستعمال الأفضل لمال الكنيسة.

٥. التّعارض الخاطئ بين النّطاقَيْنِ الرّوحيّ والمادّيّ في الكنيسة. «ليهتمّ الكاهن بالرّوحانيّات ونحن، العلمانيّون، سنهتمّ بالأمور المادّيّة». نحن نؤمن بتجسّد ابن الله. لقد جعل نفسه جسداً حتّى يؤلّه الطّبيعة المادّيّة بكاملها، ليجعل كلّ الأشياء ذات معنى روحيّ ومتّصلة بالله. كلّ ما نفعله في الكنيسة هو دائماً روحيّ ومادّيّ. نحن نبني كنيسة مادّيّة لكنّ الهدف روحيٌّ. كيف يمكن فصل أحدهما عن الآخر؟ نحن نجمع المال، ولكن حتّى نستعمله من أجل المسيح. نحن نقيم مأدبة ولكن إذا كانت بالمطلق ذات علاقة بالكنيسة، فإنّ هدفها - مهما يكن - هو أيضاً روحيّ. لا يُمكن أن يُجرّد من الإيمان والرّجاء والمحبّة الّتي بها توجد الكنيسة. هكذا، من غير الأرثوذكسيّ أن نعارض الرّوحيّ مع المادّيّ ونعتقد أنّه من الممكن فصلهما. في كلّ ما يتعلّق بالكنيسة، يوجد حاجة دائمة إلى مشاركة كلٍّ من الإكليروس والعلمانيّين وإلى عمل كلّ شعب الله.

الخاتمة

في الماضي ارتكب الطّرفان العديدَ من الأخطاء فدعونا ننساها. بالأحرى دعونا نحاول أن نجد حقيقة الكنيسة ونجعلها خاصّتنا. إنّها بسيطة ورائعة وبنّاءة. إنّها تحرّرنا من جميع المخاوف والمرارة والرّباطات. وسنعمل معاً في وحدة الإيمان والمحبّة من أجل كمال ملكوت الله.

لتكن مشيئتك لا مشيئتنا.

القدّيس جاورجيوس اللابس الظفر

عن موقع أرثوذكس أونلاين

ولد القدّيس جاورجيوس (ومعنى اسمه الحارث «الفلّاح») في مدينة اللّد في فلسطين سنة «٢٨٠م» من أبوين مسيحيّين كانا من أصحاب الغنى والشّهرة الاجتماعيّة، دخل في سلك الجنديّة وهو في السّابعة عشر من عمره، أحبّه الإمبراطور (ذيوكلتيانس) وأدخله في فرقة الحرس الملكيّ ورقّاه وجعله قائد الفرقة. اشتهر في الحروب بانتصاراته حتّى لقّب «باللاّبس الظّفر». ولمّا بدأ الإمبراطور يضطهد المسيحيّين ويعذّبهم وأصدر أوامره بإجبار المسيحيّين على عبادة الأوثان، ومن رفض منهم يُقتل على الفور. غضب جاورجيوس ودخل على الإمبراطور، وجاهر بمسيحيّته ودافع بحماسة عن المسيحيّين ومعتقداتهم. حاول الإمبراطور أن يثنيه عن عقيدته المسيحيّة بالوعود الخلاّبة، والتّرقية إلى أعلى الرّتب، وبإغداق الأموال عليه، لكنّه رفض هذا كلّه في إلحاح وحزم.

غضب الإمبراطور وأمر الجند بتعذيبه؛ فَاقتادوه إلى سجن مظلم، وأخذوا ينكّلون به فأوثقوا رجليه بالحبال، ووضعوا على صدره حجراً ضخماً، وظلّوا يضربونه بالسّياط والحراب حتّى أفقدوه وعيه، وتركوه مطروحاً، أمّا هو فكان يصلّي وفي اليوم التّالي اقتادوه إلى الإمبراطور آملين أن تكون تلك العذابات قد كبحت جماح حماسته، فظهر أكثر شدّة وصلابة وأكثر جرأة، فأمر الملك بإعادة تعذيبه؛ فَوُضِع على دولاب كلّه مسامير ثمّ أدير الدّولاب بعنف فتمزّق جسده وتشوّه وجهه وخرجت الدّماء كَالينابيع من كلّ أعضائه، ولكنّه احتمل ذلك بصبر عجيب وسمع صوتاً سماويّاً يقول له: «يا جاورجيوس، لا تخف لأنّي معك» فَتشدّدت عزيمته وخرج من تلك الآلة الجهنّميّة وكأنّه لم يحدث شيء، وقد شفيت جراحه، وانقطع سيل الدّم منه فأخذوه إلى الإمبراطور، فما إن رآه حتّى تولاّه الذّهول إذ وجده سليمَ الجسم كاملَ القوّة، فحنق عليه الإمبراطور وأمر جنوده بإعادته إلى السّجن وأن يذيقوه ألواناً أخرى من التّعذيب.. فأعادوه وضربوه بالسّياط حتّى تناثر لحمه، وصبّوا على جسده جيراً حيّاً، وسكبوا عليه مزيجاً من القطران ومحلول الكبريت على جراحه كي يتآكل جسمه و يذوب، فَراح يعاني معاناة فوق

طاقة البشر، ولكنّ السّيّد المسيح أعانه على احتمال أهوال تلك العذابات وظلّ حيّاً، وفي صباح اليوم التّالي دخل الجنود عليه، ولمّا فتحوا باب السجن رأوا القدّيس قائماً يصلّي ووجهه يضيء كَالشّمس دون أيّ أثر للتّعذيب، فأخذوه إلى الإمبراطور الّذي

– الفهرست –

لمّا رآه اتّهمه بالسّحر، فَأحضر له ساحراً ماهراً اشتهر بقدرته على أعمال السّحر، وضع له في كأس ماء عقاقيرَ مهلكةً تقتل من يشربها على الفور، وقرأ عليها بعض التّعاويذ الشّيطانيّة، وطلب من القدّيس أن يشربه، فأخذها القدّيس ورسم عليها إشارة الصّليب وشربها، فلم ينلْه أيّ مكروه وظلّ منتصباً باسِماً، ثمّ أخذ السّاحر كأساً ثانية وملأها بسموم شديدة المفعول وقرأ عليها تعاويذ شيطانيّة أشدّ شرّاً، وطلب تقييدَ القدّيس لكي لا يرسم علامة الصّليب على الكأس كما فعل في المرّة السّابقة. ولكنّ القدّيس بسبب إيمانه بقوّة الصّليب، راح يحرّك رأسه إلى أعلى، ثمّ إلى أسفل، ثمّ إلى اليسار، ثمّ إلى اليمين قائلاً في كلّ مرة «هل أشرب الكأس من هنا، أم من هنا، أم من هنا، أم من هنا» و بذلك رسم علامة الصّليب بأن أحنى رأسه في الجهات الأربع، ثمّ شرب الكأس فلم ينله أيّ ضرر على الإطلاق، وكان ذلك مصداقاً لقول السّيّد المسيح له المجد، «هذه الآيات تتبع المؤمنين.... يحملون حيّاتٍ وإن شربوا شيئاً مميتاً لايضرّهم» (مر١٦: ١٧، ١٨).

وحين يئس الإمبراطور من إجبار جاورجيوس على إنكار السّيّد المسيح أمَرَ بِصنع عجلة كبيرة فيها مناجل وأطواق وسيوف حادّة، وأمَرَ جنودَه بأن يضعوا جاورجيوس بداخلها، ويديرونها فتحطّمه.. ولمّا رأى القدّيس هذه العجلة الرّهيبة صلّى إلى الرّبّ أن ينقذه من هذه التّجربة القاسية. وضعوه في الجهاز الرّهيب فانسحقت عظامه وتناثر لحمه وانفصلت كلّ أعضاء جسمه حتّى أصبح كتلة متداخلة، عندها صاح الإمبراطور مخاطباً رجال مجلسه قائلاً: أين الآن إله جاورجيوس؟ لماذا لم يأتِ ويخلّصه من يدي؟ ثمّ أمر جنوده بإلقاء أشلاء جاورجيوس في جبٍّ عميق بحيث لا يمكن أن يصل إليه أنصاره، وفي اللّيل نزل السّيّد المسيح مع ملائكته إلي الجبّ، وأقام القدّيسَ من الموت وأعاده إلى الحياة سليمَ الجسم، وفي الصّباح دخل إلى الإمبراطور وأعوانِه، فذهلوا جميعاً وقال الإمبراطور: هل هذا هو جاورجيوس أم شخص آخر يشبهه؟ فأنّبَه الأمير أناطوليس على جحوده وظلام قلبه، وأعلن إيمانَهُ هو وجميع جنوده بِالرّبّ يسوع المسيح، فغضب الإمبراطور وأمَرَ بقتلهم جميعاً فماتوا شهداء.

بعد أن فشلت كلّ محاولات الإمبراطور مع القدّيس لينكرَ عقيدتَه، دعاه وأخذ يلاطفه ويتملّقه بالوعود الأخّاذة لكي يثنيه عن عزمه ويحمله على الرّجوع عن إيمانه، فتظاهر القدّيس جاورجيوس هذه المرّة بأنّه سيعود إلى عبادة الأوثان وطلب إلى الإمبراطور أن يسمح له بالذّهاب إلى معبد الأوثان ويرى الآلهة ففرح الإمبراطور وأراد أن يكون هذا باحتفال علنيّ، فجمع قوّاده وعظماء بلاطه وجمهور الشّعب ليحضروا تقديمَ القربان للآله «أبولون» من يد جاورجيوس، وعندما حضر جاورجيوس تقدّم إلى تمثال «أبولون» ورسم على نفسه إشارة الصّليب وخاطب الصّنم قائلاً له: «أتريد أن أقدّم لك الذّبائح كأنّك إله السّماء والأرض»؟ فَخرج صوت من أحشاء الصّنم يقول: «إنّني لست إلهاً، بل الإله الّذي تعبده أنت يا جاورجيوس هو الإله الحقّ» وفي الحال سقط ذلك الصّنم على الأرض وسقطت معه سائر الأصنام فتحطّمت جميعها، فأمر الإمبراطور بقطع رأسه فطار صيت استشهاده الرّائع وجرأته النّادرة في كلّ أرجاء الإمبراطوريّة ولذلك يدعى «العظيم في الشّهداء»، ومنذ ذلك اليوم أخذ اسمه يتعاظم في كلّ البلاد شرقاً وغرباً وكثرت عجائبه، حتّى قامت الشّعوب والأفراد تتسابق في إكرامه وطلب شفاعته وتشييد الكنائس على اسمه وتسمية أبنائهم باسمه وهو من أقرب القدّيسين إلى عواطف المؤمنين.

نُقل جسده الطّاهر من مكان استشهاده إلي مدينة اللّدّ في فلسطين، ووُضع في الكنيسة الّتي بُنيت على اسمه هناك.

وتحتفل كنيستنا الأرثوذكسيّة بعيده في الثّالث والعشرين من شهر نيسان شرقي(٦ أيّار غربي) من كلّ عام.

+ + +

طروباريّة باللّحن الرّابع

بما أنّكَ للمأسورينَ مُحرّرٌ ومُعتقٌ. وللفُقَراءِ والمَساكين وعاضدٌ وناصرٌ. وللمَرضى طبيبٌ وشافٍ. وعن المؤمنينَ مُكافحٌ ومُحاربٌ. أيُها العظيمُ في الشُهداءِ جاورجيوسُ اللابِسُ الظّفر. تَشَفّعْ إلى المَسيحِ الإله. في خلاصِ نفوسِنا.

+ + +

نقلاً عن:

www.orthodoxonline.org

حوار مع العذراء

فادي وديع عدره

– يا ولدي لماذا توقّفت عن الصلاة لي ولابني؟ لما تجعل من نفسك لعبة في يد الشيطان؟ هل بدر منّا شيء أزعجك؟ هل أسأنا إليك؟ هل قصّرنا معك في شيء؟ قل لي لعلّي أستطيع المساعدة.

– يا أمي، أيّتها الفائقة القداسة والطهارة، يا ينبوع المراحم، خطاياي كثرت وذنوبي أصبحت حمل لا أستطيع السيطرة عليه، تُغرقني، تتعبني، تُرسلني إلى الهاوية. يا عذراء، الصلاة باتت في حياتي زيت يحرقني، الكسل يحوط بي، والأهواء تخنقني، لا لم تقصّروا في شيء، أنت وابنك، لكن الظلمة ملك قلبي، فأصبحت صلاة فارتة.

– يا ولدي، مهما حصل وسيحصل، لا تيأس، قمْ واغلب الشيطان في صلاتك، فهو لا يعرف الرّحمه، فقد جرّبَ ابني أيضاً لكنّه غلبه وقهره عندما اعتلى الصليب فداءً لشعبه، ففرّ هارباً، وهو الآن ينتقم، فلا تكن لقمة سائغة في فمه، بل كون كابني الذي وقف في وجهه، هكذا أنت أيضاً، قفْ أمامه بالصلاة لتغلبه.

– لكن يا عذراء، تعبتُ جداً وخطاياي فاقت حبات الرمل عدداً، فكيف بعد هذا تُغفر لي خطاياي؟

– إنه رحيم يا ولدي، إنه موجود دائماً، ويسكن في داخلك، أنسيت ما قاله: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.» (مت١١:٢٨)؟ فقط بادر إليه وهو يرفعك معه كاللّص إلى الفردوس، صلّي حتى ولو كانت صلاتك بلا حرارة، استمر وسيأتي يوم تعيش الصلاة والفردوس، وتتلذذ بالنعمة. حياتك يا بنيّ كالإسفنج، والصلاة كقطرات المياه، يوماً عن يوم تملئ القطرات الاسفنجة فتتشبع بالمياه وتصبح طريّة ومفعمة، هكذا الصلاة، يوماً عن يوم تقوّيك وتسندك وتقرّبك من اللّه، فتكون له ابناً صالحاً، مشاركاً الملكوت مع كل القدّيسين.

– آه يا عذراء، وأنت، أتسامحيني؟

– يا ولدي، ما من أمّ تغضب على ابنها، أو تكرهه، بل تؤدّبه وترشده، وتسعى جاهدة لألاّ يقع في الخطيئة، أنا هنا لأمدّ يدي وأرسل شفاعتي لابني ليرحمك ويخلّصك، أنا هنا لأجفّف دموعك، أنا هنا لأخرجك من أرض الخطيئة إلى أرض النعيم والفردوس. يا ولدي، ابني يسوع غفر لقاتليه، أيعقل لا يغفر لتائب واحد يعود؟ محبّتي لك يا بني على قدر تضحيتي بيسوع.

– احفظيني يا عذراء من الشّرور والأفكار الكثيرة.

– بركة ابني القدّوس تصونك وتحفظك يا ولدي الحبيب، قمْ وانهض وصلّي ولتبدأ مشوار التوبة من الآن. شفاعتي وشفاعة القدّيسين معك دائماً يا ولدي.

– الفهرست –

جـلال الذّكـرى... المجدليّــة الخالــدة

الأديبة الكبيرة أسمى طوبى

مئات النّساء ضِعْنَ في ثنايا التّاريخ ونَسِيَهُنّ العالم، أمّا هي فلا تزال على كلّ شَفَةٍ بعد ألفي عام، ولا يزال رسمُها، من ريشة عباقرة الفنّ، يتصدّر قاعاتِ متحف اللّوفر في باريس.

كانت إحدى الرّاقصات في قصر هيرودوس، وكانت راقصاتُهُ يُؤتى بهِنّ من مصر واليونان والحبشة.. حَرّم أيّ يهوديّ على نفسه أن يطأ عتبة ذلك القصر، أمّا هي ابنة المجدل حول طبريّا فقد تحدّت قومَها، ومضت لترقص هناك.

لم يكن بها شياطين.. ولكن كان فيها من الفتنة ما يفوق قوّة سبعة شياطين مجتمعة.

سمعَتِ السّيّدَ يعظ فَتركتْ كلّ شيء وتبعَتْه لتخدمَهُ..تخدم رجلاً لا بيتَ له، لتلك الّتي تعوّدت عيش القصور.

كانت قويّة الأعصاب تلك المرأة. لم يهدّها الحزن إلى حدّ أن تنصرف مع الآخرين في تلك اللّيلة الرّهيبة. لقد مضى الجميع حتّى صاحب البستان يوسف الرّامي، أمّا هي فقد بقيت تُراقب، ولعلّها كانت تراقب مكان القبر من هذا البستان الواسع لكي لا تضلّ عندما ستأتي مع الفجر...

وأتت أمام الجميع، ورأت الحجر مدحرجاً، والقبر فارغاً، ورجعت تركض خطواتٍ تخبر من خلفها التّلاميذ والنّسوة.. واختلّ وعي المجموعة الصّغيرة البائسة.. ومضى بعضها يركض إلى القبر وبعضها يعود إلى الوراء.. أمّا هي، المرأة الطّلعة المستكشفة فقد كانت تحبث في جوانب البستان.. تطلّ في هذه الحفرة وتلك التّجويفة.. وترى مع ظلمة الفجر شخصاً تظنّه البستانيّ فتسأل عن سيّدها. فإذا ما قال الشبح: يا مريم ألم تعرفيني..؟ لم يقفز قلبُها رعباً، ولم تهرب، بل انطرحت على قدميه وسجدت، ثمّ ركضت بكامل عقلها الواعي وقلبها الفرح تبشّر الجماعة: لقد قام السّيّد.. رأته بعينيها هاتين.. - ماذا؟ تخيّلات النّسوة المحطّمات..؟ - أبداً، لقد رأته بعينيها.

هذه هي المجدليّة، غريبة في قوّة شرّها.. غريبة في قوّة توبتها، غريبة في قوّة إيمانها؛ إيماناً استحقّت معه أن تكون أوّل من يَرى السّيّد بعد قيامته.

امرأة خلّدتها خطيئتُها. وتوبتُها!

عيد القدّيسة بربارة – العراق

الأسبوع العظيم المقدّس – سلطنة عُمان

غداء الفصح – أبو ظبي

زيارة سيدنا ثيودوسيوس – الكويت

أحد الشّعانين – البحرين

أحد الشّعانين – الكويت

عيد القديس إفرام السّوريّ – الكويت

الأسبوع العظيم المقدّس – الكويت

عيد البشارة – الكويت

عيد القدّيس أندراوس الرسول – العراق

– الفهرست –

عيد الفصح المجيد - سلطنة عُمان

الأسبوع العظيم المقدّس - أبو ظبي

سيامة الأخ فادي عدره قارئاً - الكويت

أحد الفصح المجيد - أبو ظبي

الميلاد المجيد - بغداد

غداء عيد الميلاد - البحرين

نشاط الباربيكيو - الكويت

الفصح المجيد - الكويت

غداء خيريّ - لجنة السّيّدات - الكويت

يوم البيئة - الكويت

غداء الفصح – سلطنة عُمان

عيد البربارة – البحرين

تصيير الأب ميشيل عجرم أباً روحيّاً ومتقدّماً في الكهنة– سلطنة عُمان

عيد القدّيس فيلمن الرسول – الكويت

غداء الفصح – الكويت

معرض الفصح – الكويت

لقاء الطوائف المسيحيّة السنوي – العراق

زيارة جمهورية إيران الإسلاميّة – الكويت

الكرمس – الكويت

سيامة الأب ميشيل عجرم كاهناً – سلطنة عُمان